موقف الفرّاء من الاحتجاج بالقراءات القرآنية في كتابه معاني القرآن

أ.م.د.محمّد ضياء الدّين خليل إبراهيم / كليّة الإمام الأعظم الجامعة / قسم اللّغة العربيّة
أ.م.د.عباس حميد سلطان/ كلية الآداب/الجامعة العراقية/ قسم اللغة العربية

المقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين، وأشرف الصلاة وأتم التسليم على سيد الأولين والآخرين، سيدنا ومولانا محمد المصطفى الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمّا بعد:

فقد أنزل الله كتابه الكريم على نبيه الأمين ــ صلوات ربي وسلامه عليه ــ فكان معجزةً ربانيةً، وكانت هذه المعجزة من جنس ما عليه العرب، وبه تفاخروا، وعليه تنافسوا وتباروا، إنّها اللغة العربية التي تميز بها العرب، وبلغ العرب بها أوجّ حضارتهم ورقيهم، ولها أقيمت الأسواق، وعقدت المنتديات، وبسببها تنافس الخطباء والشعراء، وتولّد من كل ذلك لغة فصيحة ناضجة، فأنزل الله كتابه الكريم بهذه اللغة الفصيحة القوية الناضجة ليتحدّى به العرب أن يأتوا بمثله أو ببعضه وإنْ كان من جنس لغتهم، ولم يخرج عن أصولهم المرعية، وقوانينهم السائدة، وإنّما راعاها أشدّ المراعاة، واختار أصحّ الألفاظ، وأقوى الأساليب، وأبلغ التراكيب، وتكفل الله ـ جلّ وعلا ـ بحفظ هذا القرآن الكريم، وهيّأ لحفظه الأسباب، ومن أسباب حفظه: المحافظة على لغته .

وقد قيّض الله لهذه اللغة علماء عاملين، وفقوا لجمع هذه اللغة من أفواه العرب، ودراستها واستخراج أصولها وقواعدها، والسنن المرعية التي كانت تراعيها العرب في حديثها وكلامها.

ومن هؤلاء العلماء العاملين: أبو زكريا يحيى بن زياد الفرّاء المتوفى(٢٠٧هـ)((رحمه الله)).

فأبو زكريا الفراء، كان أبرع الكوفيين وأعلمهم، وكان ثقة إماماً ويمكن أن نتبيّن مكانته العلمية من خلال تصانيفه الكثيرة، وأهمها: كتاب معاني القرآن الذي طار صيته في الآفاق فهو المصدر الرئيس للنحو الكوفي ومصطلحاته، كما كان الفرّاء يسلك في ألفاظه كلام الفلاسفة وكان يعتمد على حفظه فقد حباه الله عزّ وجلّ قدرةً عجيبةً على الحفظ، بل روي أنّه أملى كتبه حفظاً.

وقد بلغ الفرّاء المكانة السامية والغاية التي كان يريدها، فكان زعيم الكوفيين بعد الكسائي، وأبرعهم في علمهم، فقد استطاع أن يلم بالثقافات التي كانت تموج في عصره، حتى أنّ المأمون أعجب بعلمه، ووثق بحذقه، فأمره أن يؤلف ما يجمع به أصول النحو، وما سُمعَ من العرب، وهيأ له كل ما يلزمه للقيام به، ودعا الوراقين ليكتبوا ما يمليه عليهم، وينسخوه، فألّف كتاب الحدود، وفضلاً عن ذلك فقد انتدبه لتأديب ولديه. وكتابه معاني القران كما يقول الدكتور أحمد مكي الأنصاري:((هو حقّاً أول كتاب وصل إلينا يجمع ـــ فضلاً عن شرح الآيات ـــ بين الدراسات اللغوية بمعناها العام والخاص، وبين الدراسات النحوية بمعناها القديم والحديث، إلى جانب القراءات والاحتجاج لها، وبيان أسباب النزول، ورسم المصحف والاختلاف فيه، إلى غير ذلك من الدراسات التي يتمتع بها أبو زكريا الفرّاء))[١].

وهو كتاب لا يفسر القران بالطريقة المعروفة، وإنّما يتخير من الآيات على ترتيب السور ما يدير حوله مباحثه اللغوية والنحوية، وهو بذلك يحل مشكلها ويوضح غامضها، مدلياً بآرائه النحوية، وقد بنى كتابه على التفسير يقول الدكتور مهدي المخزومي:((بأنّه قد حشا تفسيره بكثير من التفسيرات اللغوية لشرح غريب القران، وبكثير من الآراء النحوية، على المذهب الكوفي، لإعراب ما يشكل إعرابه من آياته، موضحا آرائه بكثير من النقول عن العرب، بسماعه هو مِمّن وثق به من فصحاء الأعراب، كأبي ثروان، أو بروايته عن الكسائي، أو بحكايته عن يونس أحياناً، مستشهداً لأقواله في إعراب الآيات بكثير من القراءات وشواهد الشعر التي صحّتْ روايتها، ولعلّ هذا الكتاب هو الذي صدرت عنه كتب النحو تحمل آراء الفرّاء النحوية، والمنبع الذي استقى منه تلاميذه واتباع المذهب الكوفي))[٢].

ونتيجة لاشتغاله بالقراءات و تدريسها كانت له فيها آراء نقلت عنه في كتب القراءات والتفسير، وكانت مثار انتباه المتأخرين فتناولوها بالمناقشة لما لها من أهمية في القراءات. وقد سلك في دراسته للقراءات مسلكا خالف فيه المتقدمين، وأتى فيه بالشيء الجديد، فأردنا أن نقف عند موقفه من القراءات، فنحلل هذا الموقف، ونشرح أسسه، ونظهر

مرتكزاته، ونبين الجديد فيه، ولأجل الوصول إلى هذا الهدف قسم البحث على ثلاثة مباحث رئيسة، هي:

المبحث الأول: وقد جاء بعنوان:((التعريف بالفرّاء وكتابه معاني القران))،وقد تضمن التعريف به من جهة: اسمه وكنيته ولقبه، مولده ونشأته، شيوخه، تلامذته، ثقافته، صفاته وأخلاقه، مكانته العلمية وثناء العلماء عليه، آثاره ومصنفاته،وفاته، وتضمن هذا المبحث كذلك التعريف بكتابه معاني القران ببيان منهجه فيه وقيمته العلمية.

المبحث الثاني: وقد جاء بعنوان:((القراءات القرآنية)) مفاهيم و دلالات، وقد تضمن الإشارة إلى بيان مفهوم القراءة في اللغة والاصطلاح، والفرق بين القران والقراءات.

والمبحث الثالث: جاء بعنوان((موقف الفرّاء من الاحتجاج بالقراءات القرانية))،وقد تضمن الإشارة إلى موقف الفرّاء من القراءات بصورة عامة واختلاف الدارسين حول موقفه هذا، وكذلك موقفه من القراءات المتواترة والشاذة واحتجاجه بها، وطريقة عرضه للقراءات، وتضعيف القراءات وردها.

وختاماً: نرجو أن تكون هذه الدراسة قد أعطت الموضوع حقّه، وأن يفيد منه الباحثون مثلما أفاد البحث من غيره.

المبحث الأول

التعريف بالفرّاء وكتابه معاني القرآن

هذا الجزء من البحث أفاض فيه الباحثون، وسبقنا إليه كثيرون[٣]، لذا سنكتفي بذكر كلمة موجزة تكون تعريفاً بالفرّاء وكتابه ومدخلاً للبحث.

المطلب الأول: التعريف بالفرّاء

أولاً: اسمه وكنيته ولقبه:

هو أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبدالله بن منظور الأسلمي، المعروف بالفرّاء، الدّيْلَمِي، الكوفي، مولي بني أسد، وقيل: بني مِنْقَر[٤]. وأمّا الفرّاء فلقبه وليس اسمه، وقد ذكر أنّه لُقّب بالفرّاء لأنّه كان يخيط الفِراء ويبيعها[٥]، غير أنّ بعض الباحثين قد انكروا سبب هذا اللقب؛ إذ لم يكن الفرّاء ولا أحد من أهله أو آبائه قد اشتغل بهذه المهنة، يقول السمعاني:((لُقِّبَ بالفرّاء لأنّه كان يفري الكلام))[٦]،وكذلك أنكر ابن الأنباري سبب

اللقب المتقدم، بقوله: ما عُرِف ببيع الفِراء ولاشرائها قط، وإنّما لُقّب بالفرّاء؛ لأنّه كان يحسن نظم المسائل، فشُبّه بالخارز الذي يخرز الأديم، وقال بعضهم: سُمّي الفرّاء؛ لقطعه الخصوم بالمسائل التي يُعْنَتُ بها، من قولهم: قد فرى إذا قطع، قال زهير:

ولأنتَ تَفرِي ما خَلَقتَ وبعـ ـضُ القوم يَخْلُقُ ثم لا يَفرِي

معناه: تخرز ما قدرت، والخلق: التقدير[٧]. ولا يعرف متى أطلق عليه هذا اللقب، ولابُدّ أنّه حين اكتمل وبدا نضجه وغلبته الخصوم[٨]. ويرجح الدكتور أحمد مكي الأنصاري((أنّ لقب الفرّاء قد انحدر إلى يحيى بن زياد من جده الأول))[٩].

ثانياً: مولده ونشأته:

ولد الفرّاء بالكوفة سنة (١٤٤ه) في عهد أبي جعفر المنصور[١٠]، ونشأ بها وتربى على شيوخها، ولم تتحدث المصادر عن طفولته ونشأته، سوى أنّه رحل من الكوفة إلى بغداد بعد أن كبر، وحثّه على ذلك شيخه أبوجعفر الرؤاسي، قائلاً له:((قد خرج الكسائي إلى بغداد، وأنت أميز منه))[١١].

وفي بغداد اتصل بالخليفة المأمون عن طريق ثمامة بن أشرس المعتزلي(ت٢١٣ه)، ووكّل المأمون إليه تأديب ولديه، وتعليمهما النحو، وبلغه أنّ ولديه يتنافسان على تقديم نعل الفرّاء، فاستدعاه المأمون، وقال له:((من أعزّ الناس؟ قال: ما أعرف أحداً أعزّ من أمير المؤمنين، قال: بلى! من إذا نهض تقاتل على تقديم نعليه وَلِيّا عهد المسلمين، حتى رضي كل واحد أن يقدم له فرداً.....))[١٢].

وتلك مكرمة ظَفِرَ بها الفرّاء لعلمه وفضله، ومع ذلك فقد أحسن الجواب والاعتذار لأمير المؤمنين بقوله:((يا أمير المؤمنين، لقد أردتُ منعهما عن ذلك، ولكن خشيتُ أن أدفعهما عن مكرمة سبقا إليها، أو أكسر نفوسهما عن شريفة حرصا عليها)).

وقد أحسن المأمون مقامه، فأفرد له حجرة، ووكل به جواري وخدماً يقمن بما يحتاج إليه، وصيّرَ له الوراقين، فكان يملي، والوراقون يكتبون. وقد أملى معظم كتبه في بغداد، وكان أكثر مقامه بها، فإذا كان آخر السنة خرج إلى الكوفة، فأقام فيها أربعين يوماً في أهله يفرق بينهم ما جمعه ويبرهم[١٣].

ثالثاً: شيوخه:

تتلمذ الفرّاء على كثير من شيوخ عصره ، وقد نصّ على ذكر بعضهم في كتبه[١٤]، وهم: أبو جعفر الرؤاسي ت(٢٠٦ه)، وعلي بن حمزة الكسائي ت(١٨٩ه)، ويونس بن حبيب البصري ت(١٨٢ه)، والمفضل الضبي، ومحمد بن الجهم الشمري، وقيس بن الربيع، ومندل بن الربيع، وأبوبكر بن عياش، وسفيان بن عيينة، كما أخذ عن الأعراب كأبي الجراح العقيلي، وأبي زياد الكلابي، وأبي ثروان العكيلي، وآخرون غيرهم، وقيل: إنّه كان يلازم كتاب سيبويه[١٥].

رابعاً: تلامذته:

الفرّاء من كبار أئمة النحو واللغة في الكوفة وبغداد، فلَمّا ذاع صيته وطبقت شهرته الآفاق شُدت إليه الرحال، فتصدر ببغداد والكوفة يفيد الراحلين إليه والوافدين عليه، وقد تخرج في مدرسته العلمية الكبرى علماء أجلاء، أشهرهم: سلمة بن عاصم (ت٢٧٠ه)، ومحمد بن الجهم (ت٢٧٧ه)، وغيرهما[١٦].

خامساً: ثقافته:

لقد كان الفرّاء واسع الثقافة، متعدد الجوانب، ذا عقلية واسعة، قوي الحافظة، لايكتب ما يتلقاه عن الشيوخ استغناءً بحفظه، يقول هنّاد ابن السري:((كان الفرّاء يطوفُ معنا على الشيوخ، فما رأيناه أثبتَ سوداءَ في بيضاءَ قط، لكنه إذا مرّ حديث فيه شيء من التفسير أو متعلق بشيء من اللغة، قال للشيخ: أعده عليّ، وظننا أنّه كان يحفظ ما يحتاج إليه))[١٧]،وبقيت له قوة الحفظ طوال حياته، وكان يملي كتبه من غير نسخة، وكان متكلماً يذهب مذهب الفلاسفة، قال أبو العباس: كان الفرّاء يتفلسف في تأليفاته، حتى يسلك في ألفاظه كلام الفلاسفة. فقد عني منذ نشأته في الكوفة والبصرة بالوقوف على ثقافات عصره الدينية والعربية والكلامية والفلسفية والعلمية، وكان الفرّاء يميل إلى الاعتزال، وقد اختلف إلى حلقات المعتزلة، وقد تلقى حينئذ مبادئ الاعتزال[١٨].

فالفرّاء عالم جليل ألمّ بثقافات التي كانت تموج في عصره، حتى أنّ المأمون أعجب بعلمه، ووثق بحذقه، فأمره أن يؤلف ما يجمع به أصول النحو، وما سُمعَ من العرب،

وهيأ له كل ما يلزمه للقيام به، ودعا الوراقين ليكتبوا ما يمليه عليهم، وينسخوه، فألّف كتاب الحدود، وفضلاً عن ذلك فقد انتدبه لتأديب ولديه[١٩].

سادساً: صفاته وأخلاقه:

كان الفرّاء متديناً ورعاً، باراً بأهله وعشيرته، وفيّاً لأشياخه حفيّاً بأصحابه، عفّ اللسان، سمحاً محباً إلى النفوس، كما كان حازماً حين ينبغي الحزم، له صدرٌ رحبٌ وقلبٌ كبيرٌ، يتحلى بأخلاق العلماء في الرجوع إلى الحقّ، وكان يُقَدّرُ شيوخه، ويعترفُ لأهلِ الفضل بفضلهم، ففي الحادثة التي كانت سبباً لتلمذة الفرّاء على الكسائي، ما يدل على اعتراف الفرّاء بفضل أستاذه الكسائي، وخلاصتها أنّ الفرّاء كان يسأل الكسائي عن مسائل، ويجيبه الكسائي بخلاف ما معه، ففطن الكسائي لذلك، وقال له: سألتني عن كيت وكيت، والجواب فيه ما أخبرتك به، أفتريد أن أجيبك بما يقول أهل الكوفة، وهو خطأ، فقال له الفرّاء: من أين قلت: إنّه خطأ؟ قال الكسائي: لأنّ الله عزّ وجلّ يقول كذا وكذا، وهو خلافه.....والشاهد في هذه الحادثة قول الفرّاء بعد ذلك:((فرميتُ بما كان معي واستأنفتُ منه التعليم فهو أنبتَ على رؤسنا الشّعَر)) [٢٠].

وخوطب الفرّاء ذات مرة بسيد أهل اللغة، وسيد أهل العربية، فاعتذر قائلاً:((أمّا مادام الأخفش يعيش فلا))[٢١].

سابعاً: مكانته العلمية وثناء العلماء عليه:

وأمّا مكانة الفرّاء العلمية، فقد بلغ المكانة السامية والغاية التي يريدها، فكان زعيم الكوفيين بعد الكسائي، يقول الزبيدي:((كان أبرع الكوفيين في علمهم))[٢٢]،ويقول ابن خلكان:((كان أبرع الكوفيين، وأعلمهم بالنحو، واللغة وفنون الأدب))[٢٣]،ويقول ثعلب في براعة الفرّاء:((لولا الفرّاء ما كانت عربية، لأنّه حصّنَها وضبطها، ولولا الفرّاء لسقطت العربية؛ لأنّها كانت تُتَنَازع ويدعيها كل من أراد، ويتكلم الناس على مقادير عقولهم وقرائحهم فتذهب، وأدركنا العلماء يرددون أقاويل العلماء، ثم تكون العلل بعد، ثم رأينا الناس بعد ذلك يتكلمون في العلم بآرائهم ويقولون: نحن نقول، فيأتون بالكلام على طباعهم وبحسب ما يحسن عندهم، وهذا سبب ذهاب العلم وبطلانه، وكتب الفرّاء لايُزاري بها كتاب))[٢٤]،ويدل على ما وصل إليه من درجة عالية في

العلم، قصة ثمامة بن الأشرس المعتزلي، حكى: أنّه صادف الفرّاء على باب المأمون يروم الدخول عليه، فرأيت أبهة أديب، فجلست إليه، فناقشته عن اللغة فوجدته بحراً، وفاتشته عن النحو فشاهدته نسيج وحده، وعن الفقه فوجدته رجلاً فقيهاً عارفاً باختلاف القوم، وبالنجوم ماهراً، وبالطب خبيراً، وبأيام العرب وأشعارها حاذقاً، فقلت من تكون، وما أظنّك إلّا الفرّاء، قال أنا هو، فدخلت فأعلمت أمير المؤمنين المأمون، فأمر بإحضاره لوقته، وكان ذلك سبب إيصاله به)) [٢٥].

وأمّا مكانة الفرّاء عند العلماء وثناؤهم عليه فهي من السمو ورفعة القدر، بحيث من اليسير حصر آراء كبار العلماء فيه، ولكن لا بأس بذكر أمثلة توضح مكانته ومنزلته عند العلماء، فقد ورد في تاريخ بغداد:((وكان يقال: النحو الفرّاء، والفرّاء أمير المؤمنين في النحو))[٢٦]،قال أبو بكر بن الأنباري:((لو لم يكن لأهل بغداد من علماء العربية إلّا الكسائي والفرّاء، لكان لهما بهما الافتخار على جميع الناس))،ويقول:((ما أسيت على شيء كما أسيت على تركي السماع لكتاب معاني الفرّاء من أبي العباس أحمد بن يحيى))[٢٧]،وفي مرآة الجنان:((قال سلمة بن عاصم: أملى الفرّاء كتبه كلها حفظاً لم يأخذ بيده نسخة إلّا في كتابين: كتاب ملازم وكتاب نافع، وكان الفرّاء يعظم الكسائي، وهو أعلم بالنحو منه، ويقول: سنة سبع ومائتين توفي الإمام البارع النحوي يحيى بن زياد الفرّاء الكوفي أجلّ أصحاب الكسائي، كان رأساً في النحو واللغة، وأبرع الكوفيين وأعلمهم بفنون الأدب على ما ذكر بعض المؤرخين، يقول ثعلب: لولا الفرّاء لَمَا كانت عربية، لأنّه خلصها وضبطها، ولولاه لسقطت العربية؛ لأنّها كانت تتنازع ويدعيها كل واحد))[٢٨]،ويقول الدكتور مهدي المخزومي:((وعندي أنّ الفرّاء أشبه النحاة بالخليل بن أحمد ـــ مع بعض الفروق بينهما ـــ حذقاً وسعة اطلاعٍ، واستفادة من الثقافات الأجنبية، التي عُرِفَتْ في البيئات الدراسية))[٢٩].

سابعاً: آثاره ومصنفاته:

الفرّاء عالم جليل كثير التأليف، وقد أفادت كتبه المكتبة العربية ورزقت قبولاً تاماً لفائدتها وجزالتها. يروى عن أبي بكر بن الأنباري أنّه قال:((مقدار كتب الفرّاء ثلاثة آلاف ورقة))[٣٠]،ولم يصل إلينا منها سوى أربعة كتب[٣١]، والباقي ضاع مع كثير من

التراث العربي الذي ضاع ولم يصل إلينا، وقد قيل عن كتبه:((لا يُزاري بها كتاب))[٣٢].

وقد اختلف أصحاب كتب التراجم أو الذين أفردوا الفرّاء بالدراسة في عدد هذه الكتب، فذكر السيوطي في البغية أحد عشر كتاباً[٣٣]،وذكر النديم في الفهرست ثلاثة عشر كتاباً[٣٤]،وذكر اليافعي في مرآة الجنان ثمانية كتب، وذكر عبارة((وكتب أخرى))[٣٥]،وذكر ابن خلكان في الوفيات خمسة عشر كتاباً، وذكر عبارة((وغير ذلك من الكتب الأخرى))[٣٦]،وذكر ياقوت في معجم الأدباء عشرين كتاباً، وعبارة((وغير ذلك))[٣٧]،وذكر الدكتور أحمد مكي الأنصاري أنّه وجد كتب الفرّاء تصل زهاء الثلاثين كتاباً، غير أنّه لم يصل إلينا منها سوى أربعة كتب، وهي:

١ــ كتاب الأيام والليالي والشهور: وقد طبع بتحقيق الأستاذ إبراهيم الأبياري في القاهرة سنة ١٣٧٥ه.

٢ــ كتاب المذكر والمؤنث: وقد طبع بتحقيق الدكتور رمضان عبدالتواب في القاهرة سنة ١٩٧٥م.

٣ــ كتاب المقصور والممدود: وقد طبع بتحقيق الأستاذ ماجد حسن الذهبي في دمشق سنة ١٤٠٣ه.

٤ــ كتاب معاني القران: مطبوع في ثلاثة أجزاء، وقد قام بتحقيقه مجموعة من الأساتذة، وطبع في القاهرة بدار الكتب المصرية، في طبعات متعددة.

أمّا كتبه المفقودة التي لم تصل إلينا، فقد قام الأساتيذ الذين أفردوه بالدراسة أو حققوا كتبه التي وصلت إلينا، بذكرها وجردها من خلال مراجعة كتب التراجم[٣٨]،وهي: كتاب(آلة الكتاب)، وكتاب(اختلاف أهل الكوفة والبصرة والشام في المصاحف)، وكتاب(البهي أو البهاء)، وكتاب(التحويل)، وكتاب(التصريف)، وكتاب(الجمع واللغات)، وكتاب(الجمع والتثنية في القران)، وكتاب(الحدود)، وكتاب(حروف المعجم)، وكتاب(الفاخر في الأمثال)، وكتاب(اللبس)، وكتاب(فعل وأفعل)، كتاب(الكتاب الكبير في النحو)، وكتاب(لغت القران)، وكتاب(ما تلحن فيه العامة)، وكتاب(مجاز القران)، وكتاب(مختصر في النحو)، وكتاب(المذكر والمؤنث)،

وكتاب(مشكل اللغة الصغير)، وكتاب(مشكل اللغة الكبير)، وكتاب(المصادر في القران)، ووكتاب(ملازم)، وكتاب(النوادر)، وكتاب(الهاء)، وكتاب(الواو)، وكتاب(الوقف واالابتداء)، وكتاب(يافع ويافعة)[٣٩].

ثامناً: وفاته:

توفي الفرّاء في السنة السابعة بعد المائتين(٢٠٧ه)، في طريق رجوعه من مكة[٤٠]،وقيل: بل مات في بغداد[٤١]،وقيل غير ذلك[٤٢].

المطلب الثاني: التعريف بكتاب ((معاني القرآن)):

أولاً: التعريف بالكتاب:

كتاب معاني القران للفرّاء مطبوع في ثلاثة أجزاء، وتعدد محققوه، فالجزء الأول حققه الأستاذان أحمد يوسف نجاتي، ومحمد علي النجار، والجزء الثاني حققه الأستاذ محمد على النجار، والجزء الثالث حققه الدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي، وراجعه الأستاذ علي النجدي ناصف.

وقد وصل إلينا الكتاب برواية محمد بن الجهم تلميذ الفرّاء، وللكتاب رواية أخرى لسلمة بن عاصم تلميذ الفرّاء أيضاً وهي أجود؛((لأنّ سلمة كان عالماً، وكان لا يحضر مجالس الفرّاء يوم الإملاء، وكان يأخذ المجالس مِمّن يحضر، ويتدبرها، فيجد فيها السهو، فيناظر عليها الفرّاء، فيرجع عنه))[٤٣].

والكتاب مليء بمختلف علوم العربية، مِمّا يشهد للفرّاء بطول نفس، ونفوذ فكر، وقد حفل الكتاب بكثر من المسائل الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية، ويعد هذا الكتاب أهم مصدر يمكن الرجوع إليه، فيما ذهب إليه الكوفيون، وقد روي عن ثعلب قوله:((وكتابه هذا نحو ألف ورقة، وهو كتاب لم يعمل مثله، ولا يمكن أحد أن يزيد عليه)) [٤٤].

أمّا سبب تأليفه لكتاب ((معاني القران))، فقد جاء في كتاب ((الفهرست))[٤٥]للنديم وقريب منه ما ذكره ابن خلكان في كتابه((وفيات الأعيان))[٤٦]،في أثناء ترجمة الفرّاء:((وكان سبب إملائه كتاب المعاني أنّ أحد أصحابه وهو عمر بن بكير، كان يصحب الحسن بن سهل، فكتب إلى الفرّاء أنّ الأمير الحسن لا يزال يسألني عن أشياء

من القران لا يحضرني عنها جواب، فإنْ رأيت أن تجمع لي أصولاً، وتجعل ذلك كتاباً يرجع إليه فعلت، فلمّا قرأ الكتاب قال لأصحابه: اجتمعوا حتى أملي عليكم كتاباً في القران، وجعل لهم يوماً فلمّا حضروا خرج إليهم، وكان في المسجد رجل يؤذن فيه وكان من القُرّاء، فقال له: اقرأ فقرأ فاتحة الكتاب ففسرها حتى مرّ في القران كله على ذلك، يقرأ الرجل والفرّاء يفسر، وكتابه هذا نحو ألف ورقة، وهو كتاب لم يُعْلَم مثله، ولايمكن أحد أن يزيد عليه))،وكذلك ذكر راوي الكتاب أبو عبدالله محمد بن الجهم بن هارون أنّ الفرّاء أملى كتابه من حفظه، ولم يعتمد في املائه على نسخة أو كتاب، يقول:((هذا كتاب فيه معاني القران، أملاه علينا أبو زكريا يحيى بن زياد الفرّاء ــ يرحمه الله ــ عن حفظه، من غير نسخة، في مجالسه أول النهار، من أيام الثلاثاوات، والجُمَع في شهر رمضان وما بعده من سنة اثنتين، وفي شهور سنةٍ ثلاث، وشهور من سنة أربع ومائتين))[٤٧].

وهو كتاب لا يفسر القران بالطريقة المعروفة، وإنّما يتخير من الآيات على ترتيب السور ما يدير حوله مباحثه اللغوية والنحوية، وهو بذلك يحل مشكلها ويوضح غامضها، مدلياً بآرائه النحوية، وقد بنى كتابه على التفسير يقول الدكتور مهدي المخزومي:((بأنّه قد حشا تفسيره بكثير من التفسيرات اللغوية لشرح غريب القران، وبكثير من الآراء النحوية، على المذهب الكوفي، لإعراب ما يشكل إعرابه من آياته، موضحاً آرائه بكثير من النقول عن العرب، بسماعه هو مِمّن وثق به من فصحاء الأعراب، كأبي ثروان، أو بروايته عن الكسائي، أو بحكايته عن يونس أحياناً، مستشهداً لأقواله في إعراب الآيات بكثير من القراءات وشواهد الشعر التي صحت روايتها، ولعلّ هذا الكتاب هو الذي صدرت عنه كتب النحو تحمل آراء الفرّاء النحوية، والمنبع الذي استقى منه تلاميذه واتباع المذهب الكوفي))[٤٨].

وكتابه معاني القران كما يقول الدكتور أحمد مكي الأنصاري:((هو حقّاً أول كتاب وصل إلينا يجمع ــ فضلاً عن شرح الآيات ــ بين الدراسات اللغوية بمعناها العام والخاص، وبين الدراسات النحوية بمعناها القديم والحديث، إلى جانب القراءات

والاحتجاج لها، وبيان أسباب النزول، ورسم المصحف والاختلاف فيه، إلى غير ذلك من الدراسات التي يتمتع بها أبو زكريا الفرّاء))[٤٩].

وقد قام الفرّاء بوضع النحو الكوفي ومصطلحاته بشكله النهائي، فمضى الفرّاء في أثر أستاذه يتسع في الأسس التي رسمها له الكسائي، وهي الاتساع في الرواية، والاتساع في القياس، والاتساع في مخالفة البصريين، إذ كان مثقفاً ثقافة كلامية فلسفية، فكانت قدرته على الاستنباط والتحليل والتركيب واستخراج القواعد والأقيسة كبيرةً، مِمّا أعطى النحو الكوفي صورته النهائية، وهي صورة تقوم على الخلاف مع نحاة البصرة في كثير من الأصول، مع وضع مصطلحات جديدة، فضلاً عن الخلاف مع الخليل وسيبويه في تحليل كثير من الكلمات والأدوات والعوامل والمعمولات، ومع حد القياس وبسطه ليشمل كثيراً من اللغات، والإبقاء على فكرة الشذوذ ومخالفة القياس حتى في القراءات[٥٠].

إذاً فالكتاب يصور جانباً كبيراً للمذهب الكوفي، ممثلاً في أبي زكريا الفرّاء، وهو رأس من رؤوسهم، وقد حفظ لنا كثيراً من مصطلحاتهم النحوية والصرفية. والحق أنّ كتاب معاني القران كتاب عظيم النفع، ولاسيّما ما يتعلق بالإعراب، والقراءات والمصطلحات الكوفية التي حشاها في هذا الكتاب، فهو كتاب أقرب للدرس النحوي واللغوي منه إلى التفسير، فقد كان جل اهتمام الفرّاء أن يكون هذا الكتاب أساساً لمدرسة مستقلة في النحو من خلال وضع مصطلحات جديدة أو مغايرة لمصطلحات النحو البصري، فكانت مصطلحات النحو الكوفي التي تعد مِمّا يميزه عن النحو البصري موجودة في هذا الكتاب.

ثانياً: منهجه في الكتاب:

أمّا منهج الفرّاء الذي اتبعه في تأليف كتابه هذا فقد اتضح في المادة التي أوردها فيه، وفي طريق عرضه لها واستنباط الأحكام منها ووضع الأقيسة عليها، أمّا مادة الكتاب فلم تكن آيات القرآن الكريم جميعاً، وإنّما كان يضم ما وردت فيه قراءات مختلفة من الآيات وما ورد فيها من مسائل نحوية أو صرفية أو صوتية أو ما إليها مِمّا أحب أن يوضحه وأن ينبه عليه، ولهذا فلم يتعرض لجميع آيات القران الكريم بالشرح أو

التفسير، واقتصر على ما اهتم به منها. ويضم الكتاب مادة لغوية كثيرة تتمثل في ما احتج به الفرّاء لتوضيح معنى أو قراءة أو وجه خرج عليه آيات الكتاب الحكيم أو احتج بها من نقل عنهم آراءهم من النحويين واللغويين، وهي متنوعة وتشمل آيات كتاب الله وقراءاتها التي يحتج ببعضها في تفسير بعضها الآخر مِمّا شابهه أو خالفه أو نسخه أو وضحه، والأحاديث النبوية الشريفة التي استفاد منها في تفسير آيات كتاب الله وتبيين سبب نزولها وربّما لتعيين زمان النزول ومكانه أو لتصحيح قراءة من قراءاته، أو توضيح حكم شرعي أو اجتماعي أو نحوهما مِمّا تدل عليه الآية، وقد يستفيد منها في شرح معنى لغوي أو تفسير كلمة غريبة أو ظاعرة نحوية أو غيرها[٥١]، ويكمن أن نذكر مثالاً على ما تقدم ذكره في ما ذكره في أثناء معالجته للفظة((الآن)) وأصلها مِمّا ورد في قوله تعالى:((الآن وقد كنتم به تستعجلون))،إذ قال:(("الآن" حرف بني على ((الألف واللام))، لم تخلع منه، وترك على مذهب الصفة؛ لأنّه صفة في المعنى واللفظ، كما رأيتهم فعلوا في ((الذي)) و((الذين)) فتركوهما على مذهب الأداة، و((الألف واللام)) لهما غير مفارقتين، ومثله قوله:

وإنّي حبستُ اليومَ والأمسِ قبلهُ ببابكِ حتى كادتِ الشمسُ تغربُ

فأدخل الألف واللام على ((أمس)) وتركه مخفوضاً على جهته الأولى، ومثله .... وإن شئت جعلت ((الآن)) أصلها من قولك:((آن لك أن تفعل كذا))،ادخلت عليها الألف واللام، ثم تركتها على مذهب ((فعل)) فأتاها النصب من نصب((فعل)) وهو وجه ((الألف واللام))، كما قالوا:((نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قيل وقال وكثرة السؤال))،فكانتا كالاسمين فهما منصوبتان، ولو خفضتا على أنّهما أخرجتا من شبه الفعل كان صواباً، سمعت العرب تقول:((من شب إلى دب)) بالفتح،و((من شب إلى دب)) يقول: مذ كان صغيراً إلى أن دبّ[٥٢].

ثالثاً: قيمة الكتاب:

لكتاب معاني القران أهمية كبيرة في تاريخ النحو العربي، والكوفي منه بوجه خصوص، فقد كان هذا الكتاب من أوائل الكتب التي كانت تعنى بتوضيح المشكلات الواردة في كتاب الله العزيز، وقراءاته المتواترة وغيرها، وتبيين كثيراً من الأوجه التي

تجوز في كل آية من التي يرى أنّ هناك حاجة إلى بيانها معتمداً في ذلك على ما ورد في كلام العرب من الظواهر الإفرادية والتركيبية، فكأنّه شرح لغوي نحوي صرفي إلى جانب عنايته بما يرد في القراءات من موضوعات صوتية كالمد والهمز والوقف والابتداء والإمالة والإدغام وغيرها.

وله قيمة تاريخية موضوعية، فقد كان من أوائل الكتب التي تدرس القراءات درساً مستفيضاً، فقد حفظ لنا هذه القراءات ونسبتها إلى القارئين بها، وهو يشرحها ويحتج لها بكلام العرب، ويبين خروج ما خرج منها على كلام العرب ويعلل كل ذلك، وكان يحوي زيادة على ما فيه من دراسة قرآنية نحوية لغوية صوتية بحوثاً تتعلق بموسيقى الفواصل، وبحوثاً بلاغية كالتشبيه بمعناه البلاغي.

وتتضح قيمة الكتاب أيضاً في أنّه يمثل قمة النضج الفكري للفرّاء، وقمة النضج المنهجي لنحو الكوفيين، فقد تبين من خلال إملائه وهو سنة (٢٠٤ه)، أي: أنّه أملاه قبيل وفاته التي كانت سنة (٢٠٧ه)، ومعنى هذا أنّه ألّفه بعد بلوغه مرحلة النضج والاكتمال، وبعد أن ألّف ما ألّف من كتب في فروع اللغة المختلفة وفي النحو، وبعد أن أملى ما أملى من كتب نحوية ضخمة ملئت كتب الطبقات بأخبارها، وبعد تطوافه في عدد من الأمصار الإسلامية وفي عدد من مجالس الدرس المختلفة لغوية كانت أم نحوية أم قرآنية أم حديثية ممّا ازدحمت به الأمصار الإسلامية المشهورة يومذلك كالبصرة والكوفة وبغداد ومكة والمدينة، واتصل في كل هذه الأمصار بالشيوخ والتلاميذ والأعراب والرواة وعلماء اللغة والنحو، وسمع وحفظ وناقش وقرأ وألّف وأملى وشرح، فتبين في هذا الكتاب الفرّاء في أوج عظمته وقمة نضجه، ووصل إلينا فيه نحوه ومصطلحاته بعد أن استقرت معظم أصول النحو عنده، وبدت فيه آراؤه النحوية والصرفية واللغوية والصوتية في أقصى درجات نضجها وتكاملها، واتضح لنا فيه منهجه النحوي الذي سار عليه في وضع أصول هذا النحو وأقيسته وموقفه من أصول النحويين البصريين، ومن أصول شيخه الكسائي وأحكامهم التي استنبطوها اعتماداً على الأصول والأقيسة التي عمهها وأشاعها في كتبه النحوية والصرفية والقرآنية ولاسيّما((معاني القرآن))، ورأينا فيه موقفه من النحو البصري وأئمته مِمّن أخذ عنهم كيونس وسيبويه بوجه خاص، ومن

جمهور البصريين في زمانه وقبله بوجه عام، فجاء الكتاب حصيلة هذا كله وزبدته وثمرته التي عرضها يانعةً يافعةً لتقطفها الأجيال التي تلته[٥٣].

المبحث الثاني

((القراءات القرانية)) مفاهيم ودلالات

أولاً: القراءات القرآنية لغةً واصطلاحاً :

ـــ القراءات لغةً: جمع قراءة وهي في اللغة: مصدر قَرَأَ، يقال: قرأ فلان يقرأ قراءةً وقرآناً، بمعنى: تلا، فهو قارئ[٥٤].

ـــ وفي الاصطلاح عرّفها الزركشي بأنّها: ((اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتابة الحروف أو كيفيتها من تخفيف وتثقيل وغيرها))[٥٥].

واستخلص الدكتور عبد الهادي الفضلي من تعريف الزركشي هذا ((أنّ القراءات تختص بالمختلف فيه من ألفاظ القران الكريم، على حين نجد أنَّ علماء القراءات يوسعون دائرة شمول القراءات إلى المتفق عليه، وذلك في تعريفهم لعلم القراءات))[٥٦].

وكذلك عَرّف ابن الجزري القراءات بأنّها:((علم بكيفية أداء كلمات القران واختلافها معزواً لناقله))[٥٧]،وتابعه البنا بقوله:((علم يعلم منه اتفاق الناقلين لكتاب الله تعالى، واختلافهم في الحذف والاثبات، والتحريك والتسكين، والفصل والوصل، وغير ذلك من هيئة النطق والابدال، وغيره من حيث السماع))[٥٨].

فالبنا تابع ابن الجزري في شرطي القراءة: النقل والسماع على ما يرى الدكتور الفضلي الذي خلص من هذه التعريفات إلى أنّ القراءة:((هي النطق بألفاظ القران كما نطقها النبي "صلى الله عليه وآله سلم" أو كما نُطِقَتْ أمامه "صلى الله عليه وآله وسلم" فأقرّها، سواء أكان النطق باللفظ المنقول عن النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" فعلاً أو تقريراً، واحداً أم متعدداً))[٥٩].

وأمّا الدكتور أحمد مختار عمر فقد عرّفَهُ قائلاً:((هي الوجوه المحتملة التي سمح النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" بقراءة نص المصحف بها، قصداً للتيسير والتي جاءت موافقة للهجة من اللهجات العربية))[٦٠].

أمّا المقرئ فقد عرّفَهُ القسطلاني (ت٩٢٣هـ)، بقوله:((والمقرئ هو العالم بالقراءات، رواها مشافهةً، فلو حفظ الشاطبية مثلاً، فليس له أن يقرأ بما فيها، إن لم يشافهه من شوفه به مسلسلاً؛ لأنّ في القراءات شيئاً لا يحكم إلّا بالسماع والمشافهة))[٦١].

وبهذا وجب على القارئ التحلي بالأمانة في النقل والسماع؛ لأنّ((القراءة سُنّةٌ متبعة يلزم قبولها والمصير إليها))[٦٢].

ثانياً: الفرق بين القران والقراءات :

من المسائل المهمة التي أثيرت في القراءات القرآنية بعامة مسألة الفرق بين القراءات والقرآن وللعلماء فيها أقوال:

الأول: أنّ القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان وقد ذهب إلى هذا الرأي العلماء المتقدمون منهم الإمام الزركشي، إذ قال:((واعلم أنّ القران والقراءات حقيقتان متغايرتان، فالقران: هو الوحي المنزل على محمد "صلى الله عليه وآله وسلم" للبيان والإعجاز، والقراءات: هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتبة الحروف أو كيفيتها، من تخفيف وتثقيل وغيرها))[٦٣]، وتبعه على هذا الرأي القسطلاني[٦٤]،وأخذ بمذهبهما البنا[٦٥]،كما ذهب إليه من المعاصرين الدكتور صبحي الصالح ناقلاً نصّ الزركشي نفسه[٦٦].

الثاني: التفرقة بين ما توافرت فيه شروط القراءات الصحيحة وهي:((صحة السند، وموافقة العربية، ومطابقة الرسم))،فيعد هذا قرآناً، وأمّا ما تَخَلّفَ فيه ولو شرط واحد منها، فيعد قراءةً فقط، وهذا هو رأي جمهور العلماء والمقرئين[٦٧]، ويلاحظ عليه أنّ ما ثبت يقيناً أنّ النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" قرأ به أو أقرّ مَنْ قرأ به أمامه، ولم يكن متوفراً على الشرطينِ الآخرينِ، أعني: موافقة العربية ومطابقة الرسم لا نستطيع عَدّهُ غير قرآنٍ؛ لأنّ النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" لا يقرأ بغير القرآن في موضع القران[٦٨].

الثالث: أنّ كُلّ قراءة تعد قرآناً حتى القراءات الشاذة "حقيقتان بمعنى واحد" ،وهذا هو رأي ابن دقيق العيد(ت٧٠٢هـ) الذي صَرّح به قائلاً:((الشواذ نقلت آحاداً عن رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم"، فَيُعْلَمُ ضرورةً أنّه "صلى الله عليه وآله وسلم" قرأ بشاذ

منها وإنْ لم يعين، قال فتلك القراءة تواترت، وإنْ لم تتعين بالشخص، فكيف يُسَمّى شاذاً، والشاذ لا يكون متواتراً))[٦٩].

وإليه ذهب بعض العلماء المعاصرين منهم الدكتور محمد سالم محيسن في كتابه "المغني في توجه القراءات العشر المتواترة"[٧٠] .

أمّا من قال باتحادهما فمردود لِمَا يأتي:

أولاً: أنّ القراءات على اختلاف أقسامها لا تشمل كلمات القرآن الكريم كله، بل هي موجودة في بعض ألفاظه فقط، فكيف يقال بالاتحاد؟.

ثانياً: تعريف القراءات يشمل القراءات الصحيحة التي يصح قراءة القران الكريم بها، كما يشمل القراءات الشاذة، التي أجمع العلماء على عدم صحة القراءة بها فلو كان القرآن والقراءات شيئاً واحداً لترتب على ذلك دخول القراءات الشاذة في القرآن الكريم وهو غير صحيح .

فالواقع أنّهُمَا ليسا متغايرين تغايراً تاماً، وليسا متحدين اتحاداً حقيقياً، بل بينهما ارتباط وثيق، ارتباط الجزء بالكل[٧١].

ثالثاً: أقسام القراءات :

والقراءات المتواترة تقسم على قسمين:

الأول: المتواترة: وهي القراءة المقطوع باتصالها بالنبي "صلى الله عليه وآله وسلم" سواء تواتر نقلها أم استفاض[٧٢]،وقد عرّفها ابن الجزري بقوله:((كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً، وصحّ سندها، فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز رَدُّهَا ولا يحل انكارها))[٧٣]،وتقسم القراءات المتواترة على أقسام: قسم اتفق على تواتره كقراءات القراء السبعة المشهورين، وقسم اختلف فيه كالقراء العشرة، وقسم اتفق على شذوذهم كالقراء الأربعة عشر[٧٤].

الثاني: الصحيحة: وتقسم على قسمين:

القسم الأول: الأحادية: وهي القراءة الجامعة للأركان الثلاثة، ولم يبلغ نقلها مستوى تفيد معه القطع باتصالها بالنبي "صلى الله عليه وآله وسلم"[٧٥]،وقد عرّفها ابن الجزري

بقوله:((ما صحّ سنده بنقل العدل الضابط عن العدل الضابط إلى منتهاه، ووافق العربية ووافق الرسم))[٧٦].

القسم الثاني: الشاذة: وهي المخالفة للرسم[٧٧]،وقد عرّفها ابن الجزري بقوله:((ما وافق العربية، وصحّ سنده ،وخالف الرسم))[٧٨]،وللتفرقة بين القراءات المتواترة والشاذة ذهب علماء القراءة إلى حصر القراءات المقبولة بضابط كي تصحّ روايتها، ويتلقاها الناس بالقبول، وهذا الضابط هو مقياس لقبول القراءات الصحيحة، وضعه العلماء لتمييز المتواتر من الشاذ على ثلاثة أركان، وهي:

١ــ صحة سندها. ٢ــ موافقة الرسم لأحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً. ٣ــ موافقة العربية ولو بوجه .

وبهذه الأركان الثلاثة تمتاز القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها ولا يحل إنكارها، بل يجب قبولها من الناس، وهي من الأحرف السبعة التي نزل بها القران، سواء أكانت عن القُرّاء السبعة أم عن العشرة أم عن غيرهم، ومتى ما اختل واحد من هذه الأركان الثلاثة تعد القراءة ضعيفة ويطلق عليها شاذة[٧٩].

وقد أشار إلى هذه الأركان الثلاثة للقراءة من العلماء كل من مكي ت(٤٣٧)ه، والداني ت(٤٤٤)ه، وعلم الدين السخاوي ت(٦٤٣)ه، وأبو شامة ت(٦٥٥)ه، وموفق الدين الكواشي ت(٦٨٠)ه، والزركشي ت(٧٩٤)ه، وابن الجزري ت(٨٣٣)ه، الذي انتهى إليه علم القراءات[٨٠].

غير أنّ ابن الجزري قد آثر على تبديل ركن صحة الإسناد في هذا الضابط بتواتره، كما أشار الدكتور صبحي الصالح إلى ذلك؛ لأنَّ القراءات لا تثبت إلّا بالإسناد وتواتره، في حين رأى الدكتور أحمد البيلي أن يكون المراد من ذلك أنّه يلزم من تواتر السند صحته، فالقراءات الأربع الزائدة على العشر صحيحة الإسناد، ولكنها أحادية فإذن هي ليست متواترة وليست قراناً يُتَعَبّدُ به ويتلى في الصلاة، وإنّمَا القراءات المتواترة هي القراءات العشر التي تلقتها الأمّة بالقبول وأخذها الخلف عن السلف الصالح حتى وصلت إلينا، ولا يوجد قراءة متواترة في يومنا هذا وراء هذه العشر[٨١].

ولابُدّ من الإشارة هنا في هذا الموضع إلى صلة القراءات العشر بالأحرف السبعة، وقد لخص الدكتور محمد سالم محيسن في كتابه (المغني) آراء العلماء في ذلك على قولين:

القول الأول: مؤداه أنّ القراءات تعد حرفاً واحداً من الأحرف السبعة التي نزلت على الرسول "صلى الله عليه وآله وسلم" وقد مال إلى هذا القول الطبري .

القول الثاني: مفاده أنَّ القراءات العشر تعد بعض الأحرف السبعة التي نزلت على "النبي صلى الله عليه وآله وسلم"، وقد مال إلى هذا القول جمهور العلماء، منهم: مكي، والمهدوي، والأهوازي.

وقد سرد الدكتور محيسن أقوال هؤلاء العلماء ثم رجّح القول الثاني الذي نوافقه فيه، إذ تميل إليه النفس باطمئنان ويعد منسجماً مع الواقع ومدعوماً بالأدلة والبراهين(٨٢).

رابعاً: موقف النحويين من الاحتجاج بالقراءات القرآنية:

هناك تباين في مواقف النحويين البصريين والكوفيين من الاحتجاج بالقراءات القرآنية ، فالبصريون ذهبوا إلى جواز الاحتجاج بالقراءات والقياس عليها قياساً عامّاً إذا وافقت أصلاً من اصولهم ولو بالتأويل، فإنْ خالفته حُفِظَ(٨٣)،"ولم يقس عليها قياساً عاماً، وإنْ صحّ الاجتهاد بها في مثل تركيبها"(٨٤).

وأمّا الكوفيون فقد كانوا أكثر عناية بالقراءات، فهي مصدر مهم من مصادر نحوهم، فقد قبلوها واحتجوا بها، وعقدوا على ما جاء فيها كثيراً من أصولهم وأحكامهم(٨٥).

وقد انحسم الأمر لصالح القراءات، فقال السيوطي :" أمّا القران فكل ما ورد أنّه قُرِئ به جاز الاحتجاج به في العربية، سواء كان متواتراً أم آحاداً، أم شاذاً"(٨٦).

المبحث الثالث

موقف الفرَّاء من الاحتجاج بالقراءات القرآنية

أولاً: منهج الفرَّاء في عرض القراءات القرآنية:

اعتنى الفرَّاء غاية العناية بالقرآن الكريم، وخدمة نصوصه تفسيراً ولغةً وقراءات، ومن يتتبع تصانيفه يجد أنَّ جلها لخدمة القرآن الكريم، ولعلّ أشهرها كتاب المعاني، وكتاب الجمع والتثنية في القرآن الكريم، وغيرها، وهو شاهد على اعتناء الرجل بخدمة كتاب

الله، غير أنَّه لم يكن من أهل القراء، مِمَّا جعل الدكتور مهدي المخزومي يقول فيه: ((وهو وإنْ لم يكن من القراء إلّا أنَّ له أعمالاً تتصل بالقرآن))[٨٧].

والقارئ لكتاب معاني القرآن يجده مملوءاً بأوجه القراءات بل بالأحرى هو كتاب يعنى بالقراءات القرآنية، ولذا تطالعنا فيه أنماط من التعبير، فمرة يقول: ((وفي قراءتنا))، و((وفي قراءتي))، وأحياناً يقول: ((وفي قراءة عبدالله))، وفي بعض الأحيان يقول: ((لو قرئ كذا كان صواباً))، أو((لو قرئ كذا لجاز))، وقد يطالعنا بأسلوب آخر يقول فيه: ((وأنَّي لأشتهي ذلك))، أو((أنَّه لأحب الوجهين إليَّ)).

وكل هذه القراءات التي يتحدث عنها، أنَّما تجيزها الصنعة النحوية أو اللغوية وربُّما لم يكن هناك من قرأ بها، فالقراءة عنده سُنّةٌ متبعة، وليس كل ما يجوز في العربية قرأتْ به القرَّاء، ولذا يقول الفرَّاء نفسه: ((والقرّاء لاتقرأ بكل ما يجوز في العربية، فلا يقبحنَّ عندك تشنيع مشنع مِمَّا لم يقرأه الفرّاء مِمَّا يجوز))[٨٨]، ولهذا كان الفرَّاء عندما يأتي بأوجه في العربية جائزة يعلق عليها بقوله: ((يجوز من حيث العربية، لا من حيث القراءة))[٨٩]، و((لو كانت.... لكان صواباً))[٩٠].وقد يتعرض كثيراً للقراءات دون الالتزام بكل وجه فيها، وقد يغفل بعضها فيقول: ((لم أسمع أحداً قرأ به...))[٩١]، ((ولم يقرأ بها أحد مِمَّنْ علمناه))[٩٢]، وقد يأتي بوجه واحد في القراءة، وقد يورد وجهين مثل قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ﴾ (الحج: ٢)، قال الفرَّاء: ((اجتمع الناس والقرّاء على: "سُكارى وماهم بسكارى"، حدثنا أبو العباس، قال: حدثنا محمد، قال: حدثنا الفرَّاء، قال حدثني هشيم بن مغيرة عن إبراهيم عن عبدالله بن مسعود أنَّه قرأ: ((وترى الناس سَكْرى وما هم بِسَكْرى)) وهو وجه جيد في العربية؛ لأنَّه بمنزلة الهَلْكَى والجَرْحَى، وليس بمذهب النشوان والنشاوي، والعرب تذهب بفاعل وفَعِيل وفَعِل، إذا كان صاحبه كالمريض أو الصريع أو الجريح فيجمعونه على الفَعْلى، فجعلوا الفَعْلى علامة لجمع كل ذي زَمانة وضرر وهلاك ولايبالون أكان واحده فاعلاً أم فعيلاً أم فعلان فاختير سكرى بطرح الألف من هول ذلك اليوم وفزعه))[٩٣].

وقد يورد وجهين صحيحين للقراءة، ويفضل أحد الوجهين معللاً ذلك كما في قوله تعالى: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا ٧٥﴾ (الفرقان: ٧٥)، فالقراءة الأولى ((يَلْقَونَ)) لأبي بكر وحمزة والكسائي وخلف، وأمَّا قراءة الباقين فهي ((يُلَقّوْن))، وقال الفرَّاء: ((كل قد قُرِئَ به ويَلْقَون أعجب إليّ؛ لأنَّ القراءة لو كانت على ((يُلَقّوْن))، كانت بالباء في العربية؛ لأنَّك تقول: فلان يتلقى بالسلام وبالخير، وهو صواب ((يُلَقّوْنه ويُلَقّوْن به، كما تقول: أخذت بالخطام وأخذته))(٩٤).

وقد لا يستحب وجه القراءة لأنَّ التفسير لا يستقيم معه: ((قال: وقوله: ﴿فَإِمَّا تَثۡقَفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡحَرۡبِ فَشَرِّدۡ بِهِم مَّنۡ خَلۡفَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ٥٧﴾(الأنفال: ٥٧)....وربَّمَا قُرِئت ((من خَلْفِهِم)) بكسرٍ مِنْ وليس لها معنى استحبه مع التفسير))(٩٥).

وقد يُقَبّحُ قراءة لخروجها عن العربية الفصيحة كما في قوله تعـالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامِۚ ١﴾ (النساء: ١)، قال: ((هو كقولهم: بالله والرحمِ، وفيه قبح؛ لأنَّ العرب لاترد مخفوضاً على مخفوض، وقد كنى عنه، وقد قال االشاعر في جوازه:

نُعَلِّقُ في مثلِ السواري سيوفنا ❖❖ وما بينها والكعْبِ غَوْطٌ نَفَانِفُ

وإنَّما يجوز هذا في الشعر لضيقه))(٩٦).

وقد يعلل بعض الأوجه التي قرأ بها القراء فيقول: ((وقد قرأ بعض القراء فيما ذكر لي ((لِيُجْزَى قوماً))(الجاثية: ١٤)، وهو في الظاهر لحن - لأنَّ قوماً يجب أن تكون نائب فاعل - فإن كان أضمر في ((يجزي)) فعلاً يقع به الرفع كما تقول: أعطي ثوباً لِيُجْزَى ذلك الجزاء قوماً فهو وجه))(٩٧)، فهو لايوافق على بناء الفعل للمجهول إلّا بتأويل بعيد، ويعده لحناً.

ويستعرض الفرَّاء في معانيه القراءات القرآنية، فينسبها أحياناً كثيرةً إلى أصحابها، من ذلك قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّـٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا مِّنۡ

﴿١٩٥﴾ عِندَهُۥ (البقرة: ٣١)، وهي في حرف عبدالله ((ثم عرضهن))، وفي حرف أُبيّ ((ثم عرضها))[٩٨]، وأحياناً يعفيها من النسب بقوله قرأت القراء، ومن ذلك قوله تعالى في تفسير قوله تعالى: (الم))(آل عمران: ١)، ((وإنَّما قرأت القراء ((ألم الله))، في آل عمران، ففتحوا الميم))[٩٩].

وقد استعان الفرَّاء بالقراءات لأغراض متعددة، فهو يستعين بها إمَّا لرد إعراب لايعجبه، من ذلك قوله في تفسير قوله تعالى: حُسۡنُ نَذِيرًا لِّلۡبَشَرِ ﴿٣٦﴾ عِندَهُۥ (المدثر: ٣٦):((كان بعض النحويين يقول: إن نصبتَ قوله: ((نذيراً)) من أول السورة يا محمد قم نذيراً للبشر، وليس ذلك بشيء والله أعلم؛ لأنَّ الكلام قد حدث بينهما شيءٌ منه كثير، ورفعُهُ في قراءة أُبيّ ينفي هذا المعنى))[١٠٠].

أمَّا الغرض الآخر من استعراض القراءات فهو الاستعانة بها من أجل بيان مذاهب العربية في أسلوب التعبير، ومن ذلك قوله في تفسير قوله تعالى: حُسۡنُ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ عِندَهُۥ(البينة: ٥)، يقول: ((العرب تجعل اللام في موضع (إنْ) في الأمر والإرادة كثيراً، من ذلك قوله تعالى: حُسۡنُ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمۡ عِندَهُۥ (النساء: ٢٦)، و حُسۡنُ وَأُمِرۡنَا لِنُسۡلِمَ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ عِندَهُۥ (الأنعام: ٧١)، وهي في قراءة عبدالله: ((وما أمروا إلّا أن يعبدوا الله المخلصين))))[١٠١].

ثانياً: آراء الدارسين من موقف الفرَّاء من القراءات:

ناقش بعض الباحثين موقف الفرَّاء من القراءات، ففريق ذكر أنَّه تهجم على القراءات السبع يخطئها، معزياً ذلك إلى تمسكه بالقياس، وحرصه على سلامة قواعده، فكان من جزاء ذلك أن تهجم على العرب يخطئهم في لغتهم، بل أكثر من هذا تهجم على القرّاء في بعض قراءاتهم السبعية تماماً كما كان يفعل البصريون من قبله ومن بعده، ومن بينهم الخليل بن أحمد الفراهيدي وسيبويه إمام النحويين[١٠٢]. ومن يرجع إلى كتاب "معاني القرآن" يجد ما يزيد على الثلاثين موضعاً من الآيات التي خطأ فيها الفرَّاء القرّاء، ولاسيَّما من المدرسة البصرية[١٠٣]، وفيما يأتي بعض الأمثلة على ما ذُكِرَ من القراءات

التي ردها الفرَّاء وخطأ القرّاء فيها، يقول معلقاً على قوله تعالى: حُسۡنُ فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ عِندَهُۥ (يونس: ٧١): ((قرأها الحسن البصري ((وشركاؤكم)) بالرفع، وإنَّما الشركاء هاهنا آلهتهم، كأنَّه أراد اجمعوا أمركم أنتم وشركاؤكم، ولست أشتهيه لخلافه للكتاب ولأنَّ المعنى فيه ضعيف؛ لأنَّ الآلهة لا تعمل ولا تُجْمَعُ))[١٠٤]، وفي الآية الكريمة: حُسۡنُ وَمَا تَنَزَّلَتۡ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ عِندَهُۥ (الشعراء: ٢١٠)، قال ((: جاء عن الحسن (الشياطون) وكأنَّه من غلط الشيخ ظنَّ أنَّه بمنزلة المسلمين والمسلمون))[١٠٥]، أي: أنَّه جمع تكسير، لا جمع مذكر سالم، لذلك لا يجوز فيه الشياطون بالواو، وهذه القراءة من القراءات الشاذة، وليست من القراءات السبعية، وكذلك أنكر الفرَّاء قراءة حمزة بن حبيب الزيات أستاذ الكسائي، وأحد أصحاب القراءات السبعة المتواترة، في الآية الكريمة: حُسۡنُ لَا يَشۡتَرُونَ بِعَايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ عِندَهُمۡ (البقرة: ٢٢٩)، فقد قرأها ((يُخَافَا)) بالبناء للمجهول، وأنكر ذلك الفرَّاء قائلاً: ((ولا يعجبني ذلك))، واستشكل عليه بأنَّه يترتب على قراءاته أن يكون الخوف قد وقع على ضمير الاثنين، وعلى ((أن لا يقيما حدود الله))، وكأن الفعل ليس له نائب فاعل واحد، بل له نائبان. والنحويون يوجهون ذلك بأنَّ عبارة ((أن لا يقيما)) بدل اشتمال من ألف الاثنين[١٠٦]، ووقف الفرَّاء بإزاء قراءة عاصم وهو أحد القُرّاء السبعة لكلمة ((يؤده)) بسكون الهاء في قوله تعالى: حُسۡنُ فِيهَا نُزُلٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۗ وَمَا عِندَ(آل عمران: ٧٥)، وقال: ((إذا كان قد ظنَّ هو ومن شاكله من القرّاء أنَّ الجزم في الهاء، وإنَّما هو فيما قبل الهاء، فهذا وإن كان توهماً، خطأٌ))[١٠٧]، وقد أخطأ لأنَّه عاد فقال موجهاً للقراءة بأنَّ من العرب من يجزم الهاء، أو بعبارة أخرى يسكنها، إذا تحرك ما قبلها فيقول: ضربته ضرباً شديداً، وكان ينبغي أن يحمل القراءة على هذه اللغة مباشرة دون تشكيك فيمن قرؤوا بها وأنَّهم رُبَّما توهموا خطأً أنَّ الجزم على الهاء لا على ما قبلها[١٠٨].

أمَّا الفريق الثاني: فلم يجد دليلاً على تخطئة الفرَّاء وتهجمه على القراءات المشهورة، وتخطئة الآيات، فليس هنا ما يؤيد ذلك، بل على العكس فالفرَّاء بدا سلفي النزعة في دراسته القرآنية واللغوية، وانتهى سلفي النزعة فيها أيضاً، وإنَّ في أقواله وآرائه وكتبه

أكثر من شاهد على عنايته بالقرآن والقراءات وتحرجه من مخالفة نصوص الكتاب، وإن تعارضت مع القواعد الموضوعة، واتخاذ القراءات مصدراً من مصادر الدرس اللغوي والنحوي عنده، وصلابته في الدفاع عن القراءات، ورد حملات أهل القياس عليها، وخلاصة القول في موقف هذا الفريق، هو أنَّ القراءات وإن شذت في نظر نحويي البصرة، كان الفرَّاء يستشهد بها، ويصوبها، ويحتج بها، ويقعد عليها[١٠٩].

أمَّا الفريق الثالث: فقد رأى أنَّ الفرَّاء لم يقصد إلى الطعن بالقراء في القراءات هو ومن تابعه من البصريين، وإنَّما كان يتثبت ويتوقف في مواضع التوقف، حتى يُعيهم أن يجدوا للقراءة الشاذة ما يسندها من كلام العرب، فلم يكن الدافع عندهم الطعن في هذه القراءات المحدودة، بل كان هدفهم التحري والتثبت، فقد تمسكوا بصورة كتابة المصحف، ولم يدلوا برأي يخالفها بوجه من الوجوه[١١٠]، من ذلك رفضه لمن قال في تثبيت الواو في قوله تعالى: ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ﴾ (الإسراء: ١١)، والياء في قوله تعـالى: ﴿فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ﴾ (النمل: ٣٦)، فقد ذكر أنَّ بعض القراء يستجيز زيادة الواو والياء المحذوفتين، وليست في المصحف، ويقول أنَّه لا يأخذ بذلك، بل يتقيد بالمصحف، وكتابته المأثورة مادام لذلك وجه في كلام العرب، ومادام هو الذي قرأ به القراء[١١١]. ومن خلال النقاط الآتية التي من خلالها سنعالج موقف الفرَّاء من القراءات، سيتضح موقفه الصريح من القراءات والاحتجاج بها.

ثالثاً: موقف الفراء من القراءات المتواترة:

ذهب علماء القراءة إلى حصر القراءات المقبولة بضابط كي تصحَّ روايتها، ويتلقاها الناس بالقبول، وللتفرقة بينها وبين القراءات الشاذة، وهذا الضابط هو مقياس لقبول القراءات الصحيحة، وضعه العلماء لتمييز المتواتر من الشاذ على ثلاثة أركان، وهي:

١- صحة سندها.

٢- موافقة الرسم لأحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً.

٣- موافقة العربية ولو بوجه.

وبهذه الأركان الثلاثة تمتاز القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها ولا يحل إنكارها، بل يجب قبولها من الناس، وهي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، سواء أكانت عن القُرّاء السبعة أم عن العشرة أم عن غيرهم، ومتى ما اختل واحد من هذه الأركان الثلاثة تعد القراءة ضعيفة ويطلق عليها شاذة[١١٢].

والفرَّاء من النحويين المتقدمين الذين سبقوا ابن مجاهد واعتماده للقراءات السبع التي اعتمدها العلماء من بعده متواترة دون غيرها، ومن أضاف إليها لم يزد عن ثلاث بحيث لم تزد القراءات المتواترة عن عشر فلا ينتظر من الفرَّاء اعتبار هذه القراءات متواترة دون غيرها ولا معتمدة دون سواها من القراءات، بل هو ينطلق في اعتباره للقراءات المقبولة من الضوابط السابقة، فهو يقول: ((اتباع المصحف إذا وجدت له وجهاً من كلام العرب، وقراءة القراء أحب إليَّ من خلافه))، فهو يشترط في هذا النص لاتباع رسم المصحف موافقة العربية وقراءة القرَّاء، أي: ثبوت الرواية غير أنَّ موقفه هذا يحتاج إلى شيء من التفصيل الذي سنتناوله في النقاط الآتية:

أ- موقف الفرَّاء من رسم المصحف:

يذكر الفرَّاء أن بعض العلماء كان يجيز عدم التزام الرسم بإثبات الحرف المحذوف من الكلمة مثل قوله تعالى: ﴿يَدْعُ الْإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ﴾ (الإسراء: ١١)، فيثبت الواو في (يدع) وليست في المصحف، وأنَّ أبا عمرو كان يقرأ ((إنَّ هذين لساحران))، بالياء في هذين إعمالاً لـ (إن) ويقرأ (فأصدق) (وأكون)[١١٣]، بإثبات واو (أكون) فزاد في الكتاب، فيقول الفرَّاء عن ذلك كله: ((ولست أشتهي ذلك ولا آخذ به))[١١٤]، و((لست اجترئ على ذلك))[١١٥]، و((لست أستحب ذلك))[١١٦]؛ لأنَّ إتباع رسم المصحف أحبُّ الشرطين الذين ذكرهما، إلّا أنَّ له بعض النصوص التي توحي بأنَّ الالتزام برسم المصحف غير واجب في كل المواطن أو في جميع صوره، إذ إنَّ بعض هذه الصور يمكن أخذها على غير ظاهرها لعدم التزام العرب فيه طريقة محددة، فهو على الرغم من موقفه السابق من قراءة أبي عمرو (وأكونَ) السابقة يدافع عنها في موضع آخر من المعاني يقول: ((والنصب على أن ترده على ما بعدها، فيقول: (وأكونَ) هي قراءة ابن مسعود: (وأكون) بالواو وقد قرأ بها بعض القراء، قال: وأرى ذلك صواباً؛ لأنَّ الواو

ربما حذفت من الكتاب، وهي تزاد لكثرة ما تنقص وتزاد في الكلام، ألآ ترى أنَّهم يكتبون(الرحمن) و(سليمن) بطرح الألف والقراءة بإثباتها فلهذا جازت، وقد أسقطت الواو من قولــه: ﴿حُسۡنُ سَنَدۡعُ ٱلزَّبَانِيَةَ عِندَهُۥ﴾ (العلق: ١٨)، ومن قوله: ﴿حُسۡنُ وَيَدۡعُ ٱلۡإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ عِندَهُۥ﴾(الإسراء: ١١) الآية والقراءة على نية إثبات الواو وأسقطوا من "الأيكة" ألفين فكتبوها في موضع (ليكة) وهي في موضع آخر (الأيكة) والقراءة على التمام، فهذا شاهد على جواز(وأكون من الصالحين)[١١٧].

ويقول في قوله تعالى: ﴿حُسۡنُ وَلَأَوۡضَعُواْ خِلَٰلَكُمۡ ﴿٤٧﴾ عِندَهُۥ﴾ (التوبة: ٤٧)، الإيضاع: السير بين القوم، وكتبت بلام ألف، وألف بعد ذلك، ولم يكتب في القرآن لها نظير، وذلك أنَّهم لايكادون يستمرون في الكتاب على جهة واحدة، ألا ترى أنَّهم كتبوا ﴿حُسۡنُ فَمَا تُغۡنِ ٱلنُّذُرُ ﴿٥﴾ عِندَهُۥ﴾ (القمر: ٥) بغير ياء، ﴿حُسۡنُ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٠١﴾ عِندَهُۥ﴾ (يونس: ١٠١) بالياء، وهو من سوء هجاء الأولين))[١١٨].

بل إنَّ الفرَّاء يرى أنَّ قراءة (براء) في قوله تعالى: ﴿حُسۡنُ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ﴿٢٦﴾ عِندَهُۥ﴾ (الزخرف: ٢٦)، على (بريء) بالياء صواب موافق لرسم (براء الألف بعد الراء؛ لأنَّ العرب قد تكتب الهمزة ألفاً في كل حالاتها)، يقول: ((وهي في قراءة عبدالله: ((إنَّني بريء مِمَّا تعبدون)) ولو قرأها قارئ كان صواباً موافقاً لقراءتنا؛ لأنَّ العرب تكتب: يستهزئ: يستهزأ فيجعلون الهمزة مكتوبة بالألف في كل حالاتها، يكتبون شيء: شيأ، ومثله كثير في مصاحف عبدالله وفي مصحفنا: ((ويهيئ لكم، ويهيأ بالألف))))[١١٩].

ويدل هذا التأويل الذي ذكره الفرَّاء على اهتمام الفرَّاء بقراءة عبدالله بن مسعود، وأخذه بها، فهو ما دافع عن قراءة (وأكون) بالواو ولا جوز هذا الوجه في (براءة)، إلّا في سياق روايته لقراءته فيهما، ثم إنَّ في هذا التجويز إهمالاً لجانب الرواية إذ أنَّ القراءة المتواترة بفتح الراء والألف بعد الراء:(براء) ففيه تطويع القراءة المتواترة لقراءة شاذة،

أو لعلّه يقصد من قوله: ((ولو قرأها قارئ) أنَّه لو ثبتت قراءتها رواية متواترة بكسر الراء ما ضرَّ رسمها بالألف، لأنَّ الرواية هي طريق ثبوت القراءة[١٢٠].

ب- موافقة القراءة للعربية ونقد القراءات:

سنتناول في هذه الفقرة بيان موقف الفرَّاء من شرط موافقة القراءات القرآنية للعربية بالتطبيق على بعض الآيات التي تبدو غير موافقة للشائع الكثير من كلام العرب، ويبدو ذلك في صورتين:

الأول: نقده بعض القراءات.

الثانية: ترجيحه بعض القراءات على أخرى.

أولاً: نقد الفرَّاء للقراءات ونماذجها:

أمَّا الصورة الأولى وهي نقد القراءات، فأنَّا نجدها واضحة لدى الفرَّاء، ونجد مواضع كثيرة من معانيه تدل عليها، ويمكن أن نذكر أمثلة توضح ذلك:

١- يقول في قوله تعالى: حُسۡنُ وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْۚ إِنَّهُمۡ لَا يُعۡجِزُونَ ﴿٥٩﴾ عِندَهُۥ (الأنفال: ٥٩)، بالتاء لا اختلاف عليها، وقد قرأها حمزة بالياء، ونرى أنَّه اعتبرها بقراءة عبدالله، وهي في قراءة عبدالله: ((ولا تحسبنَّ الذين كفروا أنَّهم سبقوا أنَّهم لايعجزون))، فإذا لم تكن فيها(أنَّها) لم يستقم للظن ألّا يقع على شيء ((والمقصود أنَّ هذه القراءة بالياء في (يحسب) الظاهر فيها أنَّ ((الذين كفروا))هو الفاعل، فيبقى (يحسبن) وهو الظن بدون مفعول وهو غير مستقيم بخلاف قراءة التاء التي تجعل فاعل (تحسبن) مستتراً، و(الذين كفروا) المفعول الأول وجملة (سبقوا المفعول الثاني)، ثم رأى أنَّ قراءة الياء لو كانت (أنَّهم لايعجزون)، الهمزة في(أنَّ) بالفتح و(لا) صلة زائدة وتكون الجملة من أن واسمها وخبرها سادة مسد مفعولي (يحسبن) لاستقام المعنى وصحت عربية، وقال: لو كان مع (سبقوا) (أن) لصح المعنى والإعراب، وقد جوز فيه أن تكون (أن) مضمرة مقدرة مثل قول العرب: (عسيت أذهب)، وهو مذهب لقراءة حمزة يجعل(سبقوا) في موضع نصب: ولايحسبن الذين كفروا سابقين، وأخيراً ختم كلامه بقوله: ((وما أحبها لشذوذها))[١٢١]، وهو قول مبالغ فيه، وهي قراءة ابن عامر

وحفص أيضاً فهي متواترة، وقد خُرِّجَتْ على أنَّ ((الذين كفروا - وسبقوا - مفعولي)) (يحسبن) والفاعل مقدر بالرسول أو حاسب أو المؤمن أو فيه ضمير يعود على من خلفهم في الآية السابقة التي قبل هذه، أو الفاعل ((الذين كفروا))، والمفعول الأول محذوف مقدر بـ (أنفسهم) أو على تقدير(أن) قبل سبقوا فحذفت، وهي مرادة فسدت مسد مفعولي يحسبن، ويؤيده قراءة عبدالله: "أنَّهم سبقوا"[١٢٢]. ويرى الفرَّاء أنَّ القراء قلّ من سلم منهم من الوهم بقراءتهم بعض الكلمات على خلاف وجهها فيقعون في الوهم بإعطائها غير حكمها، وفيما يأتي أمثلة مِمَّا حكم فيه الفرَّاء بوهم القرّاء:

أ- في قوله تعالى: حُسۡنُ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ ﴿٢٢﴾ عِندَهُۥ (إبراهيم: ٢٢)، ذكر قراءة الأعمش ويحيى بن وثاب بكسر ياء ((مصرخيِّ))، وقال: ((ولعلها من وهم القراء طبقة يحيى، فأنَّه قلّ من سلم منهم من الوهم، ولعله ظنَّ أنَّ الباء في ((بمصرخيِّ)) خافضة للحرف كله، والياء من المتكلم خارجة عن ذلك))[١٢٣].

ب- ومِمَّا يرى الفرَّاء أنَّهم قد وهموا فيه، قوله تعالى: حُسۡنُ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ ﴿١١٥﴾ عِندَهُۥ (النساء: ١١٥)، بإسكان الهاء في الفعلين ((نُوَلِّهِ ونصلهْ))، وهي قراءة أبي عمرو وأبي بكر وحمزة واختلف عن هشام وابن وردان وابن جماز، وحقُّ هذه الهاء أن تكون محركةً بالكسر كما هي قراءة الآخرين[١٢٤]، قال الفرَّاء: ((وظنوا أنَّ الجزم في الهاء، والهاء في موضع نصب، وقد انجزم الفعل بسقوط الياء منه))[١٢٥].

ج- ومِمَّا يرى الفرَّاء أنَّه من الوهم قراءة ((وما تنزلت به الشياطون))[١٢٦]، برفع جمع التكسير، بالواو، وقد نسب هذه القراءة إلى الحسن ووصفها بالغلط، قال الفرَّاء: ((وجاء عن الحسن ((الشياطون))، وكأنَّه من غلط الشيخ ظنَّ أنَّه بمنزلة المسلمين والمسلمون))[١٢٧].

٣- يرى الفرَّاء أنَّ أبا جعفر المدني قرأ: ((اهتزَّت وربأت))[١٢٨]، بهمز ربأت، ثم قال: ((فإن كان ذهب إلى الربيئة الذي يحرس القوم، فهذا مذهب، أي: ارتفعت حتى صارت كالموضع للربيئة فإن لم يكن أراد هذا فهو من غلط قد تغلطه العرب، فتقول: حلأت السويق ولبأت بالحج ورثأت الميت، وهو كما قرأ الحسن ((ولأدرأتكم به))

بهمز، وهو مِمَّا يرفض من القراءة، وقد تناول أبو الفتح هاتين القراءتين فذهب في الأولى مذهب الفرَّاء، وخرَّج الثانية ((ولأدرأتكم)) على أنَّ أصله ((ولأدريتكم)) بالياء ثم قلبت الياء ألفاً لانفتاح ما قبلها وإن كانت ساكنة، ثم همزت الألف قياساً على بعض الوارد عن العرب[١٢٩].

٤- قرأ حمزة وأبو جعفر المدني قوله تعالى: حُسْنُ لَا يَشْتَرُونَ بِءَايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ عِندَهُۥ (البقرة: ٢٢٩)، ببناء (يخافا) لما لم يسم فاعله فيكون الخوف واقعاً على الرجل والمرأة وعلى المصدر المؤول من ((أن لايقيما))، وخاف لا يتعدى إلى اثنين، فقال الفرَّاء: ((وفي قراءة عبدالله ((إلّا أن تخافوا))، فقرأها حمزة على هذا المعنى ((إلّا أن يخافا))، ولا يعجبني ذلك، وقرأها بعض أهل المدينة كما قرأها حمزة)) ثم قال: ((وأمَّا ما قال حمزة فأنَّه إن كان أراد اعتبار قراءة عبدالله، فلم يصبه، لأنَّ الخوف أنَّما وقع على أن وحدها، إذ قال ((ألّا يخافوا أن لا))، وحمزة قد أوقع الخوف على الرجل والمرأة، ألا ترى أنَّ اسمهما في الخوف مرفوع بما لم يسمَّ فاعله))[١٣٠]، ثم حاول تخريجها وقد خرجها النحويون على أن (أن لا يقيما) بدل اشتمال من نائب الفاعل[١٣١].

ويلاحظ كذلك أنَّ الفرَّاء يمنع القراءة بما خالف الكتاب وإن كان له وجه في الكلام، ونجده يؤكد ذلك بأكثر من طريقة، فيقول: ((ولايُقرأ بها لمكان الكتاب))[١٣٢]، أو((فزادوا واواً في الكتاب، ولست أستحب ذلك))[١٣٣]، أو((وهو على ذلك جائز، ولايصح في القراءة))[١٣٤]، أو((فأمَّا في القرآن فلا يجوز لمخالفة الكتاب))[١٣٥]، ومع ذلك فإنَّ الفرَّاء قد طعن في بعض القراءات المتواترة، ولم يستحب بعضها الآخر، فمن ذلك قوله: ((وليس قول من قال: ((مُخْلِفَ وَعْدَهُ رُسُلِهِ))[١٣٦]، ولا((زُيِّن لكثير من المشركين قتلُ أولادَهم شركائِهم))[١٣٧].

فقراءة آية الأنعام برفع الزاي في(زُيِّن)، وبرفع اللام في قتل(قتلُ)، وبنصب الدال في(أولادَهم)، وبالجر في (شركائهم)، هي قراءة سبعية متواترة، وهي قراءة ابن عامر[١٣٨].

وكذلك وجد الفرَّاء يقبح قراءة أخرى سبعية متواترة، وهي موافقة لمذهبه، بل تعد أقوى حجة لِما ذهب إليه، ومع ذلك راح يقبحها، ويحتج بغيرها، ونعني بذلك قراءة حمزة في الآية الأولى من سورة النساء حُسْنُ ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَۚ ١﴾(النساء: ١)، إذ قرأ حمزة بخفض الأرحام[١٣٩]، وهي أيضاً قراءة إبراهيم النخعي، وقتادة، والأعمش[١٤٠].

قال الفرَّاء: ((حدثني شريك بن عبدالله عن الأعمش عن إبراهيم أنَّه خفض الأرحام، قال: هو كقولهم: بالله والرحم، وفيه قبح))[١٤١]، ثم ذكر أنَّه يجوز في الشعر لضيقه، ثم رجع في نصوص أخَرى من كتابه يجيز ذلك، فقال عند قوله: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ﴾ عِندَهُۥ (النساء: ١٢٧)، ((وإن شئت جعلت (ما) في موضع خفض: يفتيكم الله فيهنَّ وما يتلى عليكم غيرُهُنَّ))[١٤٢]، مثلما أنَّ الفرَّاء لم تعجبه بعض القراءات المتواترة[١٤٣].

ولهذا ذهب الدكتور شوقي ضيف إلى أنَّ الفرَّاء هو الذي فتح الباب على مصراعيه للطعن في القراءات والقرّاء، وأنَّ من سار على هذا النهج من البصريين اللاحقين قد ساروا على دربه، واقتفوا أثره[١٤٤].

وهنا يبرز تساؤل مهم، وهو هل كان الفرَّاء يُجَوِّز القراءة بغير المروي؟ نقول: إنَّ القارئ لكتاب معاني القرآن للفرّاء كثيراً ما يجد عبارة: ولو قُرِئَ كذا كان صواباً، أو لو قُرِئَ كذا لجاز، أو لو قُرِئَ بكذا كان وجهاً[١٤٥]، وهي قراءات تجيزها الصنعة النحوية، أو اللغوية، وليست قراءة قرآنية؛ لأنَّ القراءة سنة متبعة.

فمن ذلك عند تعرضه لقوله تعالى: حُسْنُ ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ١٩٥ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلْبِلَٰدِ ١٩٦ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ﴾ عِندَهُۥ (البقرة: ٩٠)، ذكر أنَّ (أنْ) في (أنْ ينزل) جزاء، ولو نويت بها الاستقبال ومحض الجزاء لكسرت (إن)، وجزمت بها كقوله جلّ ثناؤه: حُسْنُ ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ عِندَهُۥ (الكهف:

٦٠)، وقال: ((فقرأ القراء بالكسر، ولو قُرِئَتْ بفتح(أن)على معنى، إذ لم يؤمنوا، ولأنْ لم يؤمنوا، ومن أنْ لم يؤمنوا لكان صواباً))[١٤٦].

وقال عند قوله تعالى: حُسَنُ عِندَهُۥ (آل عمران: ٤٥)، (وجيهاً) قطعاً من عيسى، ولو خفضت على أن تكون نعتاً للكلمة؛ لأنَّها هي عيسى كان صواباً[١٤٧].

وكذلك في قوله تعالى: حُسَنُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ عِندَهُۥ (البقرة: ٦٩)، إذ قال: ((ولو قرأ قارئ بالنصب(مالونَها) كان صواباً))[١٤٨].

وممَّا ورد أيضاً عند الفرَّاء من ذلك عند قوله تعالى: حُسَنُ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ عِندَهُۥ (آل عمران: ٩١)، إذ قال: ((فلو قيل: ملئ الأرض ذهباً لو افتدى به كان صواباً))[١٤٩]، محتجاً بهذا على زيادة الواو.

وكذلك ما ذكره من جواز بناء(غير) على الفتح مطلقاً عند قوله تعالى: حُسَنُ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴿٣﴾ عِندَهُۥ (فاطر: ٣)، فقال: ((لو نصبت(غير) إذا أريد بها إلّا كان صواباً))[١٥٠].

ولعلّ الذي دفع الفرَّاء إلى ذلك هو اعتقاده أنَّ القراء لا تقرأ بكل ما يجوز في العربية، وهذا قد يعني أنَّ هناك وجوهاً كثيرة غير مقروء بها، وقد يُقرَأ بها، قال: ((والقراء لا تقرأ بكل ما يجوز في العربية، فلا يقبحنَّ عندك تشنيع مشنع ممَّا لم يقرأه القراء مِمَّا يجوز))[١٥١].

ولذلك ذكر الدكتور شعبان صلاح أنَّ من قال هذه العبارة ليس غريباً عليه أن يفتح الباب للوجوه الإعرابية التي تجيزها اللغة في الآيات سواء أوردت بها قراءة أم لم ترد[١٥٢].

وقريب مِمَّا أورده الدكتور شعبان ما أوردته الباحثة خديجة مفتي من القراءات التي تجيزها الصنعة النحوية عند الفرَّاء[١٥٣].

ولعلّ ما ذهب إليه الدكتور شوقي ضيف، والدكتور شعبان صلاح، والباحثة خديجة مفتي صحيح؛ لكن ليس على إطلاقه؛ لأنَّ الفرَّاء وإن كان قد طعن في بعض القراءات المتواترة، ولم يستحب بعضها الآخر، فأنَّه كان يقدم رسم المصحف، وما قرأت به القراء، ولعلّه أراد فقط من تكرار عبارة: لو قرئ بكذا لكان كذا، أنْ يشرع للناطقين بالعربية، ويبين لهم مسالك النطق الصحيح، وتعددها لاستعمالها في كلامهم لافيما جاءت به الرواية، وصحَّ به السند، ولا ليقرأوا بها كيفما اتفق دون رواية عن النبي (ﷺ)(١٥٤).

ثانياً: ترجيحه بعض القراءات على أخرى والمفاضلة بينها:

كان الفرَّاء يفاضل بين القراءات انطلاقاً من مدى مطابقتها أو اختلافها مع الأساليب العربية، فيلجأ إلى مقارنتها بقراءة أخرى، والمفاضلة بينها مؤثراً استخدام عبارات: أجودَ وأحسنَ وأحبَّ وأعجبَ دون رد القراءة أو نعتها بالشذوذ، أو القبح، أو الضعف، وهو يفاضل بينها بحسب اتفاقها أو اختلافها مع الأساليب العربية، وليس على أساس السند والرواية، من ذلك تفسيره قوله تعالى: ﴿ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟﴾ (البقرة: ٧٨)، إذ قال: ((فالأماني على وجهين في المعنى، ووجهين في العربية، فأمَّا في العربية فإنَّ من العرب من يخفف الياء فيقول: ((إلّا أمانيَ وإن هم))، ومنهم من يشدد، وهو أجود الوجهين))(١٥٥).

وكذلك نرى الفرَّاء في كثير من المواضع يوجه القراءة ويخرجها تخريجاً نحوياً ثم يدلي بحكمه في المفاضلة بينها، من ذلك قوله في تخريج قوله تعالى: ﴿وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا ﴿٣١﴾﴾ (الإنسان: ٣١)، يقول: ((وهي في قراءة عبدالله ((وللظالمين أعدَّ لهم)) فكرر اللام في (الظالمين) وفي (لهم)، وربما فعلت العرب ذلك، أنشدني بعضهم:

أقولُ لها إذا سألتْ طلاقاً ❖❖ إلَامَ تُسارعين إلى فراقي

وأنشدني بعضهم:

فأصبحنَ لايسلنه عن بما به ❖❖ أصعّدَ في غاوي الهوى أم تصوَّبا

فكرر الباء مرتين، فو قال: لا يسلنه عمّا به، كان أبين وأجود. ولكنّ الشاعر رُبَّمَا زاد ونقّصَ ليكمل الشعر، ولو وجّهْتَ قول الله تبارك وتعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ۝١﴾ (النبأ: ١) إلى هذا الوجه كان صواباً في العربية))(١٥٦).

وقد يورد وجهين صحيحين للقراءة، ويفضل أحد الوجهين معللاً ذلك كما في قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا ۝٧٥﴾ (الفرقان: ٧٥)، فالقراءة الأولى (يَلْقَونَ) لأبي بكر وحمزة والكسائي وخلف، وأمَّا قراءة الباقين فهي (يُلَقّوْن)، وقال الفرَّاء: ((كل قد قرئ به ويَلْقَونَ أعجب إليَّ؛ لأنَّ القراءة لو كانت على (يُلَقّوْن) كانت بالباء في العربية؛ لأنَّك تقول: فلان يتلقى بالسلام وبالخير، وهو صواب ((يُلَقّوْنَه ويُلَقّوْنَ به، كما تقول: أخذت بالخطام وأخذته))(١٥٧).

وقوله تعالى: ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ ۝٣٩﴾ (القلم: ٣٩)، قرأ الحسن(بالغة) فيها بالنصب، وقرأ غيره بالرفع وقد احتجَّ الفرَّاء لكل منهما وشرحه وبيَّن قياسه في العربية، ولكنه رجح قراءة الرفع، فقال: ((القراء على رفع (بالغة) إلّا الحسن فأنَّه نصبها على مذهب المصدر كقولك حقاً، والبالغ في مذهب الحق يقال: جيد بالغ، كأنَّه قال: جيد حقاً قد بلغ حقيقة الجودة، وهو مذهب جيد وقراءة العوام أن تكون البالغة من نعت الإيمان أحبَّ إليَّ))(١٥٨).

وقوله تعالى: ﴿ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ﴾ (النور: ٥٨)، قرأ كثير من القراء برفع (ثلاث)، ونصبها آخرون، وقد اختار الفرَّاء قراءة الرفع داعماً لها محتجاً، قال: ((ثم قال: (ثلاث عورات لكم)، فنصبها عاصم والأعمش ورفع غيرهما، والرفع في العربية أحب إليَّ، وكذلك أقرأ، والكسائي يقرأ بالنصب؛ لأنَّه قد فسرها في المرات وفيما بعدها فكرهت أن تكرّ ثالثة))(١٥٩)، فكأنَّه يقصد أنَّ أوقات الاستئذان قد فسرت مرتين في هذه الآية في قوله: ((ثلاث مرات))فثلاث منصوبة على الظرف لإضافته إلى مرات المستعمل ظرفاً وإن كان الأصل مصدراً، وفي قوله: ((من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء))، فكره الفرَّاء أن تنصب(ثلاث عورات)، فتكون تفسيراً ثالثاً والمعنى على الرفع، وقال: ((واخترت الرفع؛ لأنَّ المعنى – والله أعلم – هذه

الخصال وقت العورات ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن، فمعها ضمير برفع ثلاث، كأنَّك قلت: هذه خصال ثلاث، كما قال: حُسۡنُ سُورَةٌ أَنزَلۡنَٰهَا ١ عِندَهُۥ (النور: ١)، أي: هذه سورة....))[١٦٠]، ففي هذا النص اختيار وترجيح ونص على مايقرأ به واحتجاج بما يستقيم به المعنى والقياس على النظائر ثم مخالفة لشيخه الكسائي[١٦١].

ومن الواضح أنَّ الفرَّاء يعتمد في نقده وترجيحاته واحتجاجه للقراءات على العربية وأساليبها وما يوجبه الذوق السليم في استعمالها لأداء المعنى، وما يليق بجلال القرآن وأسلوبه الرفيع، كتفضيله الإظهار على الإدغام في قوله: ((وإنَّما بني القرآن على الترسل وإشباع الكلام فتبيانه أحبَّ إليَّ من إدغامه، وقد أدغم القراء الكبار، وكل صواب))[١٦٢].

رابعاً: رد القراءات وتضعيفها:

مذهب الفرَّاء واضح، لايكتنفه الغموض في القراءة فعنده القرآن الكريم أقوى حجة، وهو القائل: ((والكتاب أعرب وأقوى في الحجة من الشعر))[١٦٣]، فقد قال معلقاً على مسألة إدغام الحرفين في قوله تعالى: حُسۡنُ قُلۡ هَلۡ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحۡدَى ٱلۡحُسۡنَيَيۡنِۖ ٥٢ عِندَهُۥ (التوبة: ٥٢)، ((والعرب تدغم اللام من هل وبل عند التاء خاصة وهو في كلامهم عالٍ كثير، يقول: هل تدري، هتّدري، فقرأها القراء على ذلك، وإنَّما استحب في القراءة خاصة تبيان ذلك؛ لأنَّهما منفصلان ليسا من حرف واحد، وإنَّما بني القرآن على الترسل والترتيل وإشباع الكلام، فتبيانه أحبُّ إليَّ من إدغامه))[١٦٤].

فهو يرفض القراءة إذا خالفت العربية، فمن قرأ: ((اهتزت وربأت)) بالهمز فعند الفرَّاء غلط قد تغلطه العرب، فتقول: حلأت السويق ولبأت بالحج، ورثأت الميت، وهو كما قال الحسن ((ولأدرأتكم به)) يهمز، وهو مِمَّا يرفض من القراءة))[١٦٥].

والفرَّاء لايرى أنَّ كل وجه جائز في العربية يمكن القراءة به، أنَّما القراءة سنة متبعة، ولذا يقول: ((القراء لا تقرأ بكل ما يجوز في العربية فلا يقبحنَّ عندك تشنيع مشنع مِمَّا يقرأه القراء مِمَّا يجوز))[١٦٦].

وهو لايحبذ الخروج عمّا أجمع عليه القراء فيقول: ((والاجتماع من قراءة القراء أحب إليَّ))[١٦٧]، وعندما قرأ أبو عبدالرحمن السلمي قوله تعالى: حُسَّنُ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ عِندَهُ (الأعلى: ٣)، بتخفيف(قدَّر)، قال الفرَّاء: ((والتشديد أحبُّ إليّ لاجتماع القراء عليه))[١٦٨].

وحين تخرج القراءة عن الإجماع ويكون لها وجه في العربية يكره الفرَّاء ذلك؛ لأنَّ القراءة المجمع عليها أفضل من غيرها، ولذا يقول: ((ولولا كراهية خلاف الآثار والاجتماع لكان وجهاً جيداً من القراءة))[١٦٩].

والفرَّاء عندما يتعرض لقراءة ويعلق عليها ويقول رأيه لا يعني ذلك أنَّه يردها لقياس يفترض، وإن كان يتحدث عن الأوجه الجائزة في العربية، فمثلاً عندما عرض لقوله تعالى: حُسَّنُ فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ ﴿٧١﴾ عِندَهُ (يونس: ٧١)، بالرفع في ((شركاؤُكم)) وهي قراءة الحسن البصري، قال الفرَّاء في توجيه هذه القراءة إنَّهم أرادوا: ((اجمعوا أنتم وشركاؤكم، ولست أشتهيه لخلافه الكتاب))[١٧٠]، والذي يقصد بخلافه الكتاب، أنَّ كتابة المصحف وردت((شركاءَكم))بنصب الشركاء بفعل مضمر والتقدير: ((اجمعوا أمركم وادعوا شركاءكم))؛ لأنَّ الفعل هنا لايصلح للاثنين فالآلهة لاتعمل ولاتجمع وإنَّما تدعى.

وتعليقات الفرَّاء في مجملها لا تخرج عن قوله: ((لا أشتهي ذلك، لا آخذ به، ولا يجوز لمخالفة الكتاب، ولايصلح في القراءة وغيرها))، وهو((لا يُجوِّزُ القراءة بغير المروي مِمَّا وافق العربية، ولكنه يشرع للناطقين بالعربية، ويبين لهم مسالك النطق الصحيح لاستعمالها في كلامهم، لافيما جاءت به الرواية، وصحَّ به السند، ولا ليقرؤوا كيفما اتفق لهم دون رواية عن سيدنا محمد (ﷺ)، وإلّا أصبح الأمر فوضى والقراءات ألواناً لا يحصيها عدٌّ ولا تضبطها حدود))[١٧١].

وقد يكون ما يذهب إليه الفرَّاء من تجويزه في العربية، لم يسمع ولم يقرأ به، ففي قوله تعالى: حُسَّنُ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم وَٱللَّهُ عِندَهُ (آل عمران: ١٥٩)، وقوله: حُسَّنُ فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ ﴿١٥٥﴾ عِندَهُ (النساء: ١٥٥)، فرحمة ونقضهم مجروران، يقول الفرَّاء:

((العرب تجعل (ما) صلة في المعرفة والنكرة، أي: زائدة، ويترتب على زيادتها، جرُّ مابعدها وهكذا كانت القراءة، غير أنَّه يقول: ((وربما جعلوه اسماً وهي في مذهب الصلة، فيجوز فيما بعدها الرفع على أنَّه صلة))، إلّا أنَّه عقّب على ذلك، بقوله: ((لم يقرأه أحد برفع ولم نسمعه))[١٧٢].

وقد يكون للفرّاء رأي فيما أجمع عليه القرّاء ووجه العربية يجيزه، فمثلاً قوله تعالى: حُسۡنُۢ وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ عِندَهُۥ (البقرة: ٢٢٦)، فما عليه القراء هو التربص إلى الأربعة، أي: جر الأربعة، ولو قيل في مثله من الكلام: ((تربص أربعة أشهر كان صواباً))، والفرَّاء لاينطلق في هذا بدون حجة أو دليل، بل قاس ذلك على قوله تعالى: حُسۡنُۢ أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ ١٤ يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ ١٥ عِندَهُۥ (البلد: ١٤-١٥)، وجاء بوجه آخر جائز في العربية وهو رفع ((أربعة)) قياساً على قولك: ((بيني وبينك سير طويل))، ((شهراً أو شهران))، تجعل السير هو الشهر والتربص هو الأربعة))، فالنصب والرفع جوزهما الفرَّاء في غير القراءة قياساً، والعربية تجيزه ولذا يقول: ((في مثله من الكلام))، ويقصد بذلك لغة العرب، كون هذا التعبير جائزاً فيها[١٧٣].

وموقف الفرَّاء من القراءات لم يكن طعناً فيها، ولم تكن له رغبة في ردِّ قراءة، وإنَّما كان موقفه هو إيجاد ما يسند تلك القراءة في اللسان العربي، وقد نالت القراءة في كتاب المعاني عناية الفرَّاء، فهو يلتمس وجهاً في العربية دائماً، معتمداً على قياس أحياناً، وعلى شاهد أحياناً أخرى، وهو لم يخرج عمَّا تعارف عليه القراء، وحتى عندما نراه يتعرض لبعض القراءات بالنقد أنَّما ذلك قياساً على العربية؛ لأنَّ مجمل منهجه بالنسبة للقران الكريم، أنَّه لايخالف فيه قراءة ولا رسماً وذلك متكرر كثيراً في معانيه[١٧٤].

فالقرآن الكريم بكل قراءاته محل احترام وتقدير عند الفرَّاء، كيف لا وهو الذي يحترم كل ما سمع من العرب، حتى ولو كان بيتاً واحداً من الشعر وأنَّ القرآن الكريم روي متواتراً، ولا سبيل إلى الطعن في أيٍّ من كلماته ولا آياته، فهو يتخذ من كل آية سنداً لآرائه، ولقد رأينا كيف كان يواجه بعض الافتراضات اللغوية التي يجيء بها ثم يقول:

((غير أنّي لا أشتهي مخالفة الكتاب))، وهذا إن دلّ على شيء فأنّما يدل على احترامه الشديد للقران الكريم وقراءاته.

يظهر أنَّ الفرَّاء وهو يقف هذا الموقف من القراءات كان مدفوعاً بعوامل شتى، منها: أنَّ الكوفة كانت مهبط كثير من صحابة رسول الله (ﷺ) وكثير من فصحاء العرب، وهؤلاء كانت سيطرة دراسة القرآن الكريم عليهم واضحة، بمعنى أنَّ القرآن الكريم كان موضع دراستهم، لأنَّه حوى دينهم ولغتهم، وكانت جلساتهم كلها حول دراسة القرآن الكريم، معنىً، ولغةً، وفقهاً، وأحكاماً، ولهذه العناية الفائقة بالقرآن الكريم فقد ظهر ثلاثة من أربعة كانوا أئمة القراء في العراق، هم: عاصم بن أبي النجود، وحمزة بن حبيب الزيات، وعلي بن حمزة الكسائي، وبلا شك فقد كانوا جميعاً مِمَّن اشتهر بفصاحته وحفظه للقران الكريم، ولذا كانت عناية الفرَّاء بالقرآن الكريم، اقتداء بأستاذه الكسائي، وتلبية لما كان يدور في بيئته من اهتمام بالقرآن الكريم، فقد اتخذ القرآن الكريم ميداناً لدراسته، وكُتبه التي ألّفها فيه خير شاهد على ذلك(١٧٥).

خامساً: موقف الفرَّاء من القراءات الشاذة :

وأمَّا القراءة الشاذة فمقياس الفرَّاء في قبولها، أن تتفق والتفسير، وأن يكون لها وجه في العربية، فإن خرجت عن هذين الشرطين فلا يقبلها، ففي قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ يَنۢبَغِي لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنۡ﴾ عِندَهُۥ (الفرقان: ١٨)، قال: ((القراء مجتمعة على نصب النون في((نَتخذَ)) إلّا أبا جعفر المدني فأنَّه قرأ((نُتَخَذَ))، بضم النون من دونك، فلو لم يكن في الأولياء "منْ" كان وجهاً جديداً، وهو على شذوذه وقلة من قرأ به قد يجوز))(١٧٦).

وقد لا يشتهي القراءة الشاذة، إذا كان المعنى فيها يحتاج إلى تأويل ولذا قال: ((وقوله تعالى: ﴿إِن ٱبۡنُكَ سَرَقَ﴾ عِندَهُۥ (يوسف: ٨١)، ((ويُقرأ(سُرِّقَ)، ولاأشتهيها؛ لأنَّها شاذة))(١٧٧)، وقوله معلقاً على قوله تعالى: ﴿فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ﴾ عِندَهُۥ (محمد: ٢٢)، يقول: ((قرأها العوام بنصب السين، وقرأها نافع المدني: ((فهل عسِيتم))، بكسر السين، ولو كانت كذلك لقال: عَسِيَ في موضع عسى، ولعلّها لغة نادرة، وربما اجترأت العرب على تغيير بعض اللغة إذا كان الفعل لايناله قد. قالوا لُسْتُم، ثم يقولون: ليس

وليسوا سواء؛ لأنَّه فعل لايتصرف، ليس له يفعل وكذلك عسى ليس له يفعل، فلعله اجتُرِئَ عليه كما اجتُرِئَ على لستم))[١٧٨].

ومع ذلك فالفرَّاء يُعَدُّ من النحويين الذين توسعوا في مسألة السماع، وهو في مذهبه هذا يقبل القراءات المختلفة وإن شذّت، فهو يستخدم كل القراءات لتأصيل مذهبه النحوي، وتعميق جذوره، وتثبيت أصوله، ومدّ فروعه، لا فرق بين قراءة وأخرى، أو بين القراءات التي اشتهرت بين الناس، وتوثق سندها، وكثر ناقلوها، والقراءات التي لم تحظ بذلك، وعدت شاذة[١٧٩].

ولهذا نجد الفرَّاء احتج كثيراً بقراءات عبدالله بن مسعود[١٨٠]، وأُبيّ[١٨١]، وأبي عبدالرحمن السلمي[١٨٢]، وهي في أكثرها قراءات شاذة.

ومن أمثلة القراءات الشاذة التي احتج بها الفرَّاء، احتجاجه بقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ﴾ (طه: ١٢٨)، بما جاء في قراءة ابن مسعود((أو لم يهد لهم مَن أهلكنا))، على وقوع كم الخبرية في غير صدارة الكلام، فتقع فاعلة ومفعولة[١٨٣].

واحتجاجه عند قوله تعالى: ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾ (يونس: ٧١)، بما جاء في مصحف ابن مسعود: ((وادعوا شركاءكم))[١٨٤]، على جواز النصب بإضمار فعل صالح بعد الواو[١٨٥].

النتائج والتوصيات

أمّا النتائج التي توصل إليها البحث فيمكن ذكرها على النحو الآتي:

١ــ كان الفرّاء واسع الثقافة، متعدد الجوانب، ذا عقلية واسعة، قوي الحافظة، لايكتب ما يتلقاه عن الشيوخ استغناء بحفظه، فقد بلغ المكانة السامية، والغاية التي كان يريدها، فكان زعيم الكوفيين بعد الكسائي.

٢ــ أنّ كتاب معاني القران كتاب عظيم النفع، ولاسيّما ما يتعلق بالإعراب، والقراءات، والمصطلحات الكوفية التي حشاها في هذا الكتاب، فهو كتاب أقرب للدرس النحوي واللغوي منه إلى التفسير، فكان جُلُّ اهتمام الفرّاء أن يكون هذا

الكتاب أساساً لمدرسة مستقلة في النحو من خلال وضع مصطلحات جديدة أو مغايرة لمصطلحات النحو البصري، فكانت مصطلحات النحو الكوفي التي تعد مِمّا يميزه عن النحو البصري موجودة في هذا الكتاب.

٣ــ القران الكريم هو الينبوع الأعظم، والأساس الأول على صحة تقرير قواعد النحو وتحرير مسائله، ونشأة النحو مرتبطة بالقران الكريم ارتباطاً وثيقاً. فقد أخذ النحويون منه مادة لاشتقاق قواعدهم وتطبيقها، فضلاً عن إعرابه إعراباً كاملاً، لذلك فإنّ القران الكريم من أهم مصادر اللغة، من حيث نحوها وصرفها؛ لأنّه لا مجال للشك في قداسة القران الكريم، لذلك كان أولّ مصادر الفكر الإسلامي وأعظمها وأدقها على الاطلاق.

٤ــ اهتم الفرّاء بالقراءات القرانية، فأخذ يتعرض لها، ويهتم بها توضيحاً وتوجيهاً، ودارس كتاب معاني القران يلاحظ ظهور ظاهرة الاحتجاج بالقراءات القرآنية بشكل واضح في الكتاب، وقد جعلها أصلاً من أصول درسه النحوي، واعتمد عليها في استخراج كثير من الأحكام والأصول النحوية.

٥ــ اتخذ الفرّاء القراءات القرآنية منهجاً ودليلاً يعتمده، ومادة لبناء قاعدة نحوية، وإقامة حكم عليها، فاحتج بها وبنى عليها كثيراً من أصول النحو وأحكامه، وقد توسع الفرّاء في ذلك حتى أصبحت ظاهرة ملموسة في معانيه، كأنّما قصد إلى ذلك قصداً، فهو يرى أنّ الكتاب أعرب وأقوى في الحجة من الشعر[١٨٦]،فمهد الطريق بذلك لمن جاء بعده من علماء النحو، وقد تأثر به عدد كبير كابن السراج، وأبي علي الفارسي، وابن جني، وغيرهم[١٨٧].

٦ــ أنّ شروط القراءة المقبولة عند الفرّاء هي شروط القراءة عند القرّاء من صحة السند، وموافقة رسم المصحف المجمع عليه، وموافقة وجه من وجوه العربية.

٧ــ الفرّاء لايرى أنّ كل وجه جائز في العربية يمكن القراءة به، إنّما القراءة سنة متبعة، فلذا هو لايجبذ الخروج عمّا أجمع عليه القراء، وحين تخرج القراءة عن الإجماع ويكون لها وجه في العربية يكره الفرّاء ذلك؛ لأنّ القراءة المجمع عليها أفضل من غيرها.

٨ ــ موقف الفرّاء من القراءات لم يكن طعناً فيها، ولم تكن له رغبة في ردِّ قراءة، وإنّما كان موقفه هو إيجاد ما يسند تلك القراءة في اللسان العربي، وقد نالت القراءة في

كتاب المعاني عناية الفرّاء، فهو يلتمس وجهاً في العربية دائماً، معتمداً على قياس أحياناً، وعلى شاهد أحياناً أخرى، وهو لم يخرج عمّا تعارف عليه القراء، وحتى عندما نراه يتعرض لبعض القراءات بالنقد إنّما ذلك قياساً على العربية؛ لأنّ مجمل منهجه بالنسبة للقران الكريم، أنّه لايخالف فيه قراءة ولا رسماً وذلك متكرر كثيراً في معانيه.

٩ــــ استدل الفرّاء بلغة القران الكريم وقراءاته المتواتر منها والشاذ، في قبولها أو ردها، غير أنّ القارئ يلمس من خلال مطالعة (معاني القران)، أنّ هذا النحوي استقرى لغة القران، واستدل بها بكثرة، أكثر من غيره من علماء النحو، ولاسيّما علماء النحو البصريين، لكثرة ذكره للقراءات، وقد يكون السبب في ذلك وجود عدد من أئمة القراء في العراق، وهم: عاصم بن أبي النجود، وحمزة بن حبيب الزيات، وعلي بن حمزة الكسائي أستاذ الفرّاء، فالفرّاء لايختلف في منهجه عن نحويي البصرة، فهو يستدل بما جرى القياس النحوي عليه، ويرفض ما سواه، ولافرق بين الشاذ والمتواتر.

التوصيات

١ــــ توجيه طلبة الدراسات العليا إلى دراسة معطيات الفرّاء في شتى مجالات علوم اللغة والموازنة بينها وبين معطيات الدرس اللغوي الحديث للوقوف على أوجه التشابه والاختلاف واثبات الأسبقية.

٢ــــ صنع ببليوغرافية شاملة لكل ما كتب عن الفرّاء على شاكلة ما صُنعَ عن سيبويه من قبل الأستاذ كوركيس عواد، والدكتور جودة مبروك محمد.

كان أبو زكريا الفراء أبرع الكوفيين وأعلمهم، وكان ثقة إماماً ويمكن أن نتبين مكانته العلمية من تصانيفه الكثيرة، وأهمها: كتاب معاني القرآن الذي طار صيته في الآفاق فهو المصدر الرئيس للنحو الكوفي ومصطلحاته.

وقد بلغ الفرّاء المكانة السامية والغاية التي كان يريدها، فكان زعيم الكوفيين بعد الكسائي، وأبرعهم في علمهم، فقد استطاع أن يلم بالثقافات التي كانت تموج في عصره، حتى أنّ المأمون أعجب بعلمه، ووثق بحذقه، فأمره أن يؤلف ما يجمع به أصول النحو، وما سُمعَ من العرب، وهيأ له كل ما يلزمه للقيام به، ودعا الوراقين ليكتبوا ما يمليه عليهم، وينسخوه، فألف كتاب الحدود، وفضلاً عن ذلك فقد انتدبه لتأديب ولديه.

وكان للفرّاء تأثير كبير في البيئة الفكرية التي عاش فيها، وأثّر بصورة جلية في كثير من البيئات التي نهلت من علمه وأساليبه، مِمّا جعله يحتل مركزاً سامياً ومنزلة جليلة في نفوس العلماء والأئمة حدتهم على مدحه والثناء عليه حتى بَعُدَ صيته وغدا بحق إمام عصره ونسيج وحده". ويحكى عن ثعلب أنه قال: ((لولا الفراء لِمَا كانت عربية))؛ لأنّ الفراء خلصها وضبطها. وقد اشتهر الفراء بلقب أمير المؤمنين في النحو لعظم مكانته بين العلماء. وقد قال أبو بكر الأنباري:((لو لم يكن لأهل بغداد والكوفة من علماء العربية إلّا الكسائي والفرّاء لكان لهم بهما الافتخار على جميع الناس)).

وكتابه معاني القران كما يقول الدكتور أحمد مكي الأنصاري:((هو حقّاً أول كتاب وصل إلينا يجمع ـــ فضلاً عن شرح الآيات ـــ بين الدراسات اللغوية بمعناها العام والخاص، وبين الدراسات النحوية بمعناها القديم والحديث، إلى جانب القراءات والاحتجاج لها، وبيان أسباب النزول، ورسم المصحف والاختلاف فيه، إلى غير ذلك من الدراسات التي يتمتع بها أبو زكريا الفرّاء)).(أبو زكريا الفرّاء ومنهجه في النحو واللغة:٢٧٢).

وهو كتاب لا يفسر القران بالطريقة المعروفة، وإنّما يتخير من الآيات على ترتيب السور ما يدير حوله مباحثه اللغوية والنحوية، وهو بذلك يحل مشكلها ويوضح غامضها، مدلياً بآرائه النحوية، وقد بنى كتابه على التفسير يقول الدكتور مهدي المخزومي:((بأنّه قد حشا تفسيره بكثير من التفسيرات اللغوية لشرح غريب القرآن، وبكثير من الآراء النحوية، على المذهب الكوفي، لإعراب ما يشكل إعرابه من آياته، موضحا آرائه بكثير من النقول عن العرب، بسماعه هو مِمّن وثق به من فصحاء الأعراب، كأبي ثروان، أو بروايته عن الكسائي، أو بحكايته عن يونس أحياناً، مستشهداً لأقواله في إعراب الآيات بكثير من القراءات وشواهد الشعر التي صحت روايتها، ولعلّ هذا الكتاب هو الذي صدرت عنه كتب النحو تحمل آراء الفرّاء النحوية، والمنبع الذي استقى منه تلاميذه واتباع المذهب الكوفي)).(مدرسة الكوفة:١٢٣).

ونتيجة لاشتغاله بالقراءات و تدريسها كانت له فيها آراء نقلت عنه في كتب القراءات والتفسير، وكانت مثار انتباه المتأخرين فتناولوها بالمناقشة لما لها من أهمية في القراءات.

و قد سلك في دراسته للقراءات مسلكا خالف فيه المتقدمين، وأتى فيه بالشيء الجديد، فأردنا أن نقف عند موقفه من القراءات، فنحلل هذا الموقف، ونشرح أسسه، ونظهر مرتكزاته، ونبين الجديد فيه، ولأجل الوصول إلى هذا الهدف قسم البحث على ثلاثة مباحث رئيسة، هي:

المبحث الأول: وقد جاء بعنوان:((التعريف بالفرّاء وكتابه معاني القران))،وقد تضمن التعريف به من جهة: اسمه ولقبه كنيته، مولده ونشأته، شيوخه، تلامذته، مكانته العلمية، ثناء العلماء عليه، آثاره، وفاته، وتضمن هذا المبحث كذلك التعريف بكتابه معاني القران ببيان منهجه فيه وقيمته العلمية.

المبحث الثاني: وقد جاء بعنوان:((القراءات القرآنية)) مفاهيم و دلالات، وقد تضمن الإشارة إلى بيان مفهوم القراءة في اللغة والاصطلاح، والفرق بين القران والقراءات.

والمبحث الثالث: جاء بعنوان((موقف الفرّاء من الاحتجاج بالقراءات القرانية))،وقد تضمن الإشارة إلى موقف الفرّاء من القراءات بصورة عامة واختلاف الدارسين حول موقفه هذا، وكذلك موقفه من القراءات المتواترة والشاذة واحتجاجه بها، وطريقة عرضه للقراءات.

الهوامش:

---

(١) أبو زكريا الفرّاء ومنهجه في النحو واللغة: ٢٧٢.

(٢)مدرسة الكوفة: ١٢٣.

(٣) ينظر: الأعلام:١٤٥/٨، وأبو زكريا الفرّاء ومذهبه في النحو واللغة: ٣٤، وجهود الفرّاء في علم الصرف: ١٢ـــ٢٨.

(٤)ينظر: وفيات الأعيان: ١٧٦/٦.

(٥) ينظر: الأنساب للسمعاني: ٣٥٢/٤.

(٦)المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٧) ينظر: الأضداد لابن الأنباري: ١٥٩.

(٨)مقدمة تحقيق معاني القران للفرّاء: ٨/١.

(٩)أبو زكريا الفرّاء ومذهبه في النحو واللغة: ٣٤.

(١٠) ينظر: الفهرست: مج١،ج١٩٨/١، والأعلام:١٤٥/٨.

(١١) نزهة الألباء: ٥١.

(١٢)إنباه الرواة: ١٨/٤.

(١٣) ينظر: بغية الوعاة: ٢٧٩/٢.

(١٤)ينظر: معاني القران للفرّاء: ٩/١، ٢٩٢/٣.

(١٥) ينظر: مراتب النحويين: ١٠٥، وإنباه الرواة: ٩/٤، ومعجم الأدباء: ٢٨١٣/٦، وبغية الوعاة: ٢٧٩/٢.

(١٦) ينظر: معجم الأدباء: ٢٨١٣/٦، وبغية الوعاة: ٢٧٩/٢.

(١٧) إنباه الرواة: ١٤/٤.

(١٨) ينظر: معجم الأدباء: ٢٨١٣/٦، والمدارس النحوية: للدكتورة خديجة الحديثي: ١٩٩.

(١٩) ينظر: إنباه الرواة: ١٠/٤ــ١١، ومعجم الأدباء:٢٨١٤/٦.

(٢٠) مجالس العلماء: ٢٠٥.

(٢١) وفيات الأعيان: ١٨١/٦.

(٢٢) طبقات النحويين واللغويين: ١٣١.

(٢٣)وفيات الأعيان:١٧٦/٦.

(٢٤) طبقات النحويين واللغويين: ١٣٢.

(٢٥) مرآة الجنان: ٣٩/٢.

(٢٦) تاريخ بغداد:١٤٩/١٤ـ ١٥٠.

(٢٧) هامش ديوان الإسلام: ٤٢٥/٣.

(٢٨)مرآة الجنان: ٣٨/٢ــ ٤١.

(٢٩)مدرسة الكوفة: ١٢٦.

(٣٠)وفيات الأعيان:١٨١/٦.

(٣١)ينظر: أبو زكريا الفراء ومذهبه في النحو واللغة: ٣٦.

(٣٢) طبقات النحويين والغويين:١٣٣.

(٣٣) ينظر: بغية الوعاة: ٢٧٩/٢ــ٢٨٠.

(٣٤)ينظر: الفهرست: مج١،ج١/٢٠٠.

(٣٥) ينظر: مرآة الجنان: ٤١/٢.

(٣٦)وفيات الأعيان: ١٨٢/٦.

(٣٧) معجم الأدباء: ٢٨١٥/٦.

(٣٨) ينظر: الأعلام:١٤٥/٨، وأبو زكريا الفرّاء ومذهبه في النحو واللغة:٣٦، جهود الفرّاء في علم الصرف:١٩ـــ٢٨.

(٣٩)ينظر: الفهرست:مج١،ج: ٢٠٠، وإنباه الرواة: ١٦/٤ـــ١٧، ومعجم الأدباء:٢٨١٥/٦، وبغية الوعاة:٢٧٩/٢ـ ٢٨٠.

(٤٠)ينظر: مراتب النحويين: ١٠٦، وإنباه الرواة: ٤/٤، ووفيلت الأعيان: ١٨١/٦.

(٤١) ينظر: تاريخ بغداد:١٥٥/١٤.

(٤٢)ينظر: أبو زكريا الفراء ومذهبه في النحو واللغة: ١٤٧.

(٤٣) وطبقات النحويين واللغويين: ١٣٧.

(٤٤) إنباه الرواة: ٤/٤.

(٤٥) ينظر: الفهرست: مج١،ج١/١٩٩.

(٤٦) ينظر: وفيات الأعيان: ١٧٨/٦.

(٤٧) معاني القران للفرّاء: ١٤/١.

(٤٨) مدرسة الكوفة:١٢٣.

(٤٩) أبو زكريا الفرّاء ومنهجه في النحو واللغة :٢٧٢.

(٥٠) ينظر: المدارس النحوية: د. شوقي ضيف: ١٩٥ـــ٢٠٢.

(٥١) ينظر: المدارس النحوية: للدكتورة خديجة الحديثي: ٢٠٦.

(٥٢)ينظر: معاني القران للفرّاء: ٤٦٧/١ـ ٤٧٠.

(٥٣) ينظر: المدارس النحوية: للدكتورة خديجة الحديثي: ٢٠٢ـ ٢٠٣.

(٥٤)ينظر: لسان العرب ٣/ ٤٢، مادة (قرأ).

(٥٥)البرهان في علوم القران ١/ ٣١٨.

(٥٦)القراءات القرآنية / ٥٥.

(٥٧) ينظر: منجد المقرئين/ ٣.

(٥٨) ينظر: اتحاف فضلاء البشر ٦٧/١.

(٥٩) ينظر: القراءات القرآنية /٥٦.

(٦٠) ينظر: البحث اللغوي عند العرب/ ١٦.

(٦١)لطائف الإشارات ١٧١/١.

(٦٢) ينظر: النشر في القراءات العشر ١١/١.

(٦٣)البرهان في علوم القران ٣١٨/١.

(٦٤) ينظر: لطائف الاشارات ١/ ١٧١.

(٦٥) ينظر: اتحاف فضلاء البشر١/٦٨ــ ٦٩.

(٦٦) ينظر: مباحث في علوم القران ١٠٨.

(٦٧) ينظر: القراءات القرآنية / ٦١ــ٦٢ .

(٦٨) ينظر: المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة ١/٤٧.

(٦٩)النشر في القراءات العشر ١/ ١٥.

(٧٠) ينظر: المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة ١/٤٧٨.

(٧١) ينظر: اتحاف فضلاء البشر (هامش رقم ٢) ١/ ٦٩.

(٧٢) ينظر: القراءات القرآنية د. الفضلي / ٥٩ .

(٧٣) النشر في القراءات العشر ١/ ٩ .

(٧٤)ينظر: لطائف الاشارات ١/ ١٧٠ .

(٧٥) القراءات القرآنية د. الفضلي / ٥٩ .

(٧٦) منجد المقرئين / ١٦ .

(٧٧) ينظر: القراءات القرآنية د . الفضلي / ٥٩ .

(٧٨) منجد المقرئين / ١٦.

(٧٩) ينظر: البرهان في علوم القران: ١/٣٣١، والنشر في القراءات العشر:١/٩.

(٨٠) ينظر: الابانة عن معاني القراءات: ٣٩، وجمال القراء ١/ ٢٤١ ،والبرهان في علوم القران: ١/ ٣٣١، والنشر في القراءات العشر: ٩/ ٩، والاتقان في علوم القران: ١/٧٥ .

(٨١) ينظر: مباحث في علوم القران: ٢٥٥ ـ ٢٥٦، والاختلاف بين القراءات: ٧٦ ـ ٧٧ .

(٨٢) ينظر: المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة :١/ ٨٦ــ٩٢.

(٨٣) ينظر: مدرسة الكوفة: ٣٧٧.

(٨٤)الأصول د. تمام حسان: ١٠٥.

(٨٥) ينظر: مدرسة الكوفة: ٣٣٧ــ٣٤١.

(٨٦)الاقتراح:٩٦.

(٨٧) مدرسة الكوفة: ٣٤٧.

(٨٨) معاني القرآن: ١/٢٤٥.

(٨٩) معاني القرآن:١/٣١٢.

(٩٠) معاني القرآن:٢/١٦٥.

(٩١) معاني القرآن:٢/٢١٤.

(٩٢) معاني القرآن:٢/٣٥٧.

(٩٣) معاني القرآن: ٢/٢١٤- ٢١٥.
(٩٤) معاني القرآن:٢/٢٧٥.
(٩٥) معاني القرآن:١/٤١٤.
(٩٦) معاني القرآن: ١/ ٢٥٢-٢٥٣.
(٩٧) معاني القرآن:٣/٤٦.
(٩٨) ينظر: معاني القرآن: ١/٢٦، وينظر:١/١٦، ٢٤، ٢٨، ٣٣، ٧٨،.....الخ.
(٩٩) ينظر: معاني القرآن: ١/٩، وينظر: ١/١١، ١٩، ٢٤،.....الخ.
(١٠٠) معاني القرآن: ٣/٢٠٥.
(١٠١) معاني القرآن:٣/٢٨٢.
(١٠٢) ينظر: أبو زكريا الفرَّاء ومذهبه في النحو واللغة: ٢١٩، والمدارس النحوية: د.شوقي ضيف:٢١٩.
(١٠٣) ينظر: المدارس النحوية: د.شوقي ضيف:٢١٩.
(١٠٤) معاني القرآن:١/٤٧٣.
(١٠٥) معاني القرآن: ٢/٢٨٥.
(١٠٦) معاني القرآن:١/٢٧٦.
(١٠٧) معاني القرآن:١/٢٢٣.
(١٠٨) ينظر: المدارس النحوية: للدكتور شوقي ضيف: ٢٢٠.
(١٠٩) ينظر: معاني القرآن بين الفرَّاء والزجاج (دراسة نحوية):٤٨. (رسالة ماجستير).
(١١٠) ينظر: المدارس النحوية: للدكتور شوقي ضيف:٢٢٣.
(١١١) معاني القرآن: ٢/٢٩٣.
(١١٢) ينظر: البرهان في علوم القرآن ١/٣٣١، والنشر في القراءات العشر١/٩.
(١١٣) من الآية رقم ١٠ من سورة المنافقين.
(١١٤) معاني القرآن:٢/٢٩٢.
(١١٥) معاني القرآن:٢/٢٩٣.
(١١٦) المصدر نفسه والصفحة نفسها.
(١١٧) ينظر: معاني القرآن: ١/٨٧ – ٨٨.
(١١٨) معاني القرآن:١/٤٣٩.
(١١٩) معاني القرآن:٣/٣٠.
(١٢٠) ينظر: النحو وكتب التفسير:١/٢٨١.

(١٢١) ينظر: معاني القرآن: ١/ ٤١٤- ٤١٦.
(١٢٢) ينظر: التبيان في إعراب القرآن ٩/٢، والبحر المحيط: ٥١٠/٤.
(١٢٣) معاني القرآن: ٧٥/٢.
(١٢٤) ينظر: إتحاف فضلاء البشر:١٩٤.
(١٢٥) معاني القرآن: ٧٥/٢- ٧٦.
(١٢٦) الآية ١٢٠ من سورة الشعراء.
(١٢٧) معاني القرآن: ٧٦/٢.
(١٢٨) من الآية رقم ٥ من سورة الحج.
(١٢٩) ينظر: المحتسب: ٧٤/٢-٧٥.
(١٣٠) معاني القرآن: ١/ ١٤٥ - ١٤٦.
(١٣١) ينظر: البحر المحيط: ١٩٧/٢.
(١٣٢) معاني القرآن: ٣٤٧/١.
(١٣٣) معاني القرآن: ٢٩٤/٢.
(١٣٤) معاني القرآن: ٣٢٧/١.
(١٣٥) معاني القرآن: ٣٥/٢.
(١٣٦) سورة إبراهيم من الآية رقم: ٤٧.
(١٣٧) سورة الأنعام من الآية رقم: ١٣٧.
(١٣٨) ينظر: السبعة: ٢٧٠.
(١٣٩) ينظر: المصدر نفسه: ٢٢٦.
(١٤٠) ينظر: البحر المحيط: ٢٢١/٣.
(١٤١) معاني القرآن:٢٥٢/١.
(١٤٢) معاني القرآن: ٢٩٠/١.
(١٤٣) ينظر: معاني القرآن:١٩/١، ٨٨، ١٤٥، ٩١/٢.
(١٤٤) ينظر: المدارس النحوية: ٢١٩.
(١٤٥) ينظر: معاني القرآن: ٥٨/١، ١٠١، ١٨٨، ٢٠٨، ٢١٣، ٢٢٦، ٣٨١،....الخ.
(١٤٦) معاني القرآن:٥٨/١.
(١٤٧) معاني القرآن:٢١٣/١.
(١٤٨) معاني القرآن:٤٦/١.
(١٤٩) معاني القرآن:٢٢٦/١.

(١٥٠) معاني القرآن:٣٦٦/٣.
(١٥١) معاني القرآن:٢٤٥/١.
(١٥٢) ينظر: موقف النحاة من القراءات القرآنية: ١٨٤.
(١٥٣) ينظر: نحو القراء الكوفيين: ٢٠٩.
(١٥٤) النحو وكتب التفسير: ٢٢٨/١.
(١٥٥) معاني القرآن: ٤٩/١.
(١٥٦) معاني القرآن:٢٢٠/٣-٢٢١.
(١٥٧) معاني القرآن: ٢٧٥/٢.
(١٥٨) معاني القرآن:١٧٦/٣.
(١٥٩) معاني القرآن: ٢٦٠/٢.
(١٦٠) معاني القرآن:٢٦٠/٢.
(١٦١) ينظر: النحو وكتب التفسير:٢٨٩/١.
(١٦٢) معاني القرآن:٤١٤/١.
(١٦٣) معاني القرآن:١٤/١.
(١٦٤) معاني القرآن: ٤٤١/١.
(١٦٥) معاني القرآن: ٢١٦/٢
(١٦٦) معاني القرآن: ٢٤٥/١.
(١٦٧) معاني القرآن: ١٤٣/٣.
(١٦٨) معاني القرآن: ٢٥٦/٣.
(١٦٩) معاني القرآن: ٢١٧/٢-٢١٨.
(١٧٠) معاني القرآن:٤٧٣/١.
(١٧١) النحو وكتب التفسير:٢٢٨/١.
(١٧٢) معاني القرآن: ٢٤٤/١-٢٤٥.
(١٧٣) ينظر: معاني القرآن: ١٤٥/١.
(١٧٤) ينظر: دراسة في النحو الكوفي:١٨٤-١٨٥.
(١٧٥) ينظر: دراسة في النحو الكوفي: ١٨٠- ١٨١.
(١٧٦) معاني القرآن: ٢٦٤/٢.
(١٧٧) معاني القرآن: ٥٣/٢.
(١٧٨) معاني القرآن:٦٢/٣.

(١٧٩) ينظر: النحو وكتب التفسير:١/٢٩٠، ٢٩٧.
(١٨٠) ينظر: معاني القرآن: ١/١١، ١٢، ٣١، ٤١، ١٥٥، ٢/٢٤٠، ٣/٣٧.
(١٨١) ينظر: معاني القرآن: ١/٥٣، ٥٧، ٧٨، ١١٥، ٢/٢٤٠.
(١٨٢) ينظر: معاني القرآن: ٢/ ٢٩٠، ٣٦٧، ٣٨٣، ٣٩٨.
(١٨٣) ينظر: معاني القرآن: ٢/٣٣٣.
(١٨٤) ينظر: المحتسب:١/٣١٤، ومشكل إعراب القرآن: ١/٣٨٥.
(١٨٥) ينظر: معاني القرآن: ١/٤٧٣.
(١٨٦)ينظر: معاني القران: ١/١٤.
(١٨٧) ينظر: أبو زكريا الفرّاء ومنهجه في النحو واللغة:٢٩٧ــــ٣٠٠.

المصادر والمراجع

١ــ الإبانة عن معاني القراءات :لأبي بكر محمد بن أبي طالب القيسي ت(٥٤٣٧ه)، تحقيق: محي الدين رمضان، ط ١،دار المأمون للتراث، دمشق – سوريا ،١٣٩٩ ه – ١٩٧٩م .
٢ــ اتحاف فضلاء البشر بالقراءات القراء الأربعة عشر :للشيخ أحمد بن محمد البنا ت(١١١٧ ه)، تحقيق: شعبان محمد إسماعيل، ط ١،عالم الكتب ،بيروت - لبنان،١٤٠٧ ه – ١٩٨٧م .
٣ــ الاتقان في علوم القران: لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي ت(٩١١ه)، دار ومكتبة الهلال، بيروت – لبنان.
٤ــ الاختلاف بين القراءات :أحمد البيلي، ط ١، دار الجيل، بيروت – لبنان، ١٤٠٨ ه – ١٩٨٨م.
٥ــ الأصول (دراسة ابيستمولوجية لأصول الفكر اللغوي العربي): د . تمام حسان، دار الثقافة، المغرب ،١٤١٤ ه – ١٩٩١م .
٦ــ الأعلام "قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين": خير الدين الزركلي، ط١٥، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، أيار/ مايو- ٢٠٠٢م.

٧ــ الاقتراح في علم أصول النحو :لجلال الدين السيوطي ت(٩١١ه) تحقيق وتعليق: أ . د حمدي عبد الفتاح مصطفى خليل، ط ٣،مكتبة الآداب ،القاهرة – مصر، ١٤٢٨ ه – ٢٠٠٧ م.

٨ــ إنباه الرواة على أنباء النحاة: لجمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي (ت٦٤٦هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار الكتب المصرية، ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م.

٩ــ البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر: د. أحمد مختار عمر، ط ٢، عالم الكتب، القاهرة ــ مصر،١٣٩٦ه - ١٩٧٩ م .

١٠ــ البحر المحيط: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي (ت ٧٤٥هـ)، وبهامشه: تفسير النهر الماد من البحر لأبي حيان نفسه، وكتاب الدر اللقيط من البحر المحيط للإمام تاج الدين الحنفي النحوي تلميذ أبي حيان (ت٧٤٩هـ)، ط٢، دار الفكر، بيروت- لبنان، ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م.

١١ــ البرهان في علوم القران: لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ت (٧٩٤ه)، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، ط ٢، دار المعرفة، بيروت – لبنان، ١٣٩١ ه – ١٩٧٢م.

١٢ــ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

١٣ــ التبيان في إعراب القرآن: لأبي البقاء العُكْبَري (ت٦١٦هـ)، تحقيق: لأحمد السيد سيد أحمد علي، المكتبة التوفيقية، القاهرة- مصر، (د.ت).

١٤ــ جمال القراء وكمال الاقراء: لعلم الدين السخاوي علي بن محمد ت(٦٤٣ه)، تحقيق: د. علي حسين البواب، مطبعة المدني، المؤسسة السعودية بمصر، مكتبة التراث، مكة المكرمة ،ط ١، ١٤٠٨ه – ١٩٨٧م .

١٥ــ دراسة في النحو الكوفي من خلال معاني القرآن للفرّاء: د. المختار أحمد ديرة، ط٢، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، الجماهيرية العظمى- طرابلس، ١٣٧١هـ/٢٠٠٣م.

١٦ــ السبعة في القراءات: لأبي بكر أحمد بن مجاهد (ت٣٢٤هـ)، تحقيق: د. شوقي ضيف، ط٢، دار المعارف، مصر، ١٩٨٠م.
١٧ــ طبقات النحويين واللغويين: لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي (ت٣٧٩هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة- مصر، ١٩٧٣م.
١٨ــ القراءات القرآنية تاريخ وتعريف: د. عبد الهادي الفضلي، ط ٣، دار القلم، بيروت ،لبنان، ١٤٠٥ه.
١٩ــ لطائف الإشارات لفنون القراءات: لشهاب الدين القسطلاني ت (٩٢٣ه)، تحقيق: الشيخ عامر سيد عثمان، ود. عبد الصبور شاهين، القاهرة – مصر، ١٣٩٢ ه – ١٩٧٢م .
٢٠ــ مباحث في علوم القران: د. صبحي الصالح، ط ٨ ، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، ١٩٧٤ م .
٢١ــ مجالس العلماء: لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي (ت٣٤٠هـ)، بتحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.
٢٢ــ المُحْتَسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها: لأبي الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢هـ)، تحقيق: ج١، علي النجدي ناصف، د. عبد الحليم النجار، د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي، ج٢، علي النجدي ناصف، د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة – مصر، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.
٢٣ــ المدارس النحوية: د. خديجة الحديثي، مطبعة جامعة بغداد، ١٤٠٦ــــ١٩٨٩م.
٢٤ــ المدارس النحوية: د. شوقي ضيف، ط٣، دار المعارف بمصر، ١٩٧٦م.
٢٥ــ المدرسة البغدادية في تاريخ النحو العربي: الدكتور محمود حسني، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت ــ لبنان. ٢٦ــ مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو: د. مهدي المخزومي، ط٢، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولادهُ بمصر، ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨م.

٢٧ــ مراتب النحويين: لأبي الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي (ت٣٥١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.
٢٨ــ مرآة الزمان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان: للإمام أبي محمد عبد الله بن اسعد بن علي بن سليمان اليافعي اليمني (ت ٧٦٨هـ)، مؤسسة الأعلمي، بيروت – لبنان، د. ت.
٢٩ــ مشكل إعراب القرآن: لمكي بن أبي طالب القيسي (ت٤٣٧هـ)، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، دار الحرية للطباعة، بغداد – العراق، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.
٣٠ــ معاني القران بين الفرّاء والزجاج((دراسة نحوية)):زياد محمود حمد الجبالي، رسالة ماجستير،كلية الآداب ــ جامعة النجاح الوطنية، ٢٠٠١.
٣١ــ معاني القرآن: لأبي زكريا يحيى بن زياد الفرّاء (ت٢٠٧هـ)، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي، ومحمد علي النجار، ود. عبد الفتاح إسماعيل شلبي، ومراجعة: علي النجدي ناصف، ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
٣٢ــ معجم الأدباء: لياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ)، تحقيق: د. إحسان عباس، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، ١٩٩٣م.
٣٣ــ المغني في توجيه القراءات العشرة المتواترة: د . محمد سالم محيسن، ط ٢ ،دار الجيل، بيرت – لبنان.
٣٤ــ منجد المقرئين ومرشد الطالبين: لشمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن الجزري ت(٨٣٣ ه)، مراجعة الشيخ محمد حبيب الشنقيطي، وأحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٩٨٠م .
٣٥ــ موقف النحاة من القراءات القرانية حتى نهاية القرن الرابع الهجري:الدكتور شعبان صلاح، دار غريب، القاهرة.
٣٦ــ النحو وكتب التفسير: د. إبراهيم عبدالله رفيده، ط٣، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، مصراتة، الجمهورية الليبية، ١٩٩٠م.

٣٧ــــ نزهة الألباء في طبقات الأدباء: لأبي البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد ابن الانباري (ت ٥٧٧هـ)، تحقيق: د. إبراهيم السامرائي، ط٣، مكتبة المنار، الزرقاء – الأردن، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٣٨ــــ النشر في القراءات العشر: للحافظ أبي الخبر محمد بن محمد بن الجزري ت (٨٣٣ ه)، مراجعة علي محمد الصباغ، المكتبة التجارية الكبرى بمصر.

٣٩ــــ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلّكان (ت ٦٨١هـ)، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت – لبنان، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.